ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

Sufi knowledge according to Sheikh Abdul Ghani Al-Nabulsi

Master. Hadeer Hassan Ali Hendawi
Philosophy Department- Faculty of Women for Arts, Science & Education- Ain Shams University - Egypt
Hadeer.Hassan@women.asu.edu.eg
Prof. Dr. Kawkab Muhammad Mustafa Amir
Professor of Islamic philosophy and Sufism, Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University – Egypt
kawkab.amir@women.asu.edu.eg
Dr. Seham Ibrahim Abdel Mageed
lecturer in the Department of Philosophy, Faculty of Women for Arts, Science & Education ,Ain Shams University – Egypt
seham.abdelmaged@women.asu.edu.eg

Receive Date: 11 February 2024, Revise Date: 1 March 2024.
Accept Date: 2 March 2024.
DOI: 10.21608/BUHUTH.2024.269117.1638
Volume 4 Issue 11 (2024) Pp.167-194.

Abstract

The Sufi knowledge is one of the most significant characteristics of Sufism for El-Nabulsi and other Sufis hence, it represents the ultimate goal for every Sufi. In their perspectives, knowledge is deemed to a sense of flair elevating to be a special experience that is reached as a result of one's strivings in this route, a spiritual connection between the worshiper and his God, based on which, such goal has been associated to the Sufis' analysis of the knowledge's nature, core, approach, goal and the relevant degree of certainty. The knower who is bestowed with that sense of elevated flair has his heart guided toward the right, and consequently the fruitful blessings of such knowledge reflect on the knower's manners and actions; since the knowledge's core is about God and His qualities, and its medium is the heart but not the reason or sentiment. Divine inspiration occurs through a luminous manifestations of the heart enabling the revelation of truths which seldom emerge through reason; and making the Sufi stands on the robust grounds of certainty pertaining to the existence of God. In the Sufism perspective, the highest forms of happiness stem from the perfect knowledge of human to God through this human's heart since the Sufism experience accomplishes peacefulness and tranquility to its seekers, as soon as they reach to truth behind their existence they dive into the blessings of happiness and peacefulness; this happens through the love and worship of God, knowledge of certainty that can never be disrupted by any doubt in God. One of the most important goals I reached to: the illustration of the Sufi knowledge, its tools, core subject, and goals in the perspective of Sheikh El-Nabulsi. As for the approach adopted in the research is the historical, descriptive, analytical and comparative one. One of the most important results I reached to: El-Nabulsi unique knowledge is characterized to be a special knowledge as a result of a personal experience, a direct knowledge communicated from God Almighty, and a quick spark that occurs through a sophisticated spiritual connection. One of the most important recommendations that I found out is: studying the latest Sufi doctrines and dignitaries for demonstrating their active role in the Islamic society.

***Keywords*:** Sufi knowledge, Sufiism, Sense of Flair, El-Nabulsi.

المعرفة الصوفية عند الشيخ عبد الغنى النابلسى

هدير حسن علي هنداوي
باحثة ماجيستير، قسم الفلسفة
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية ، جامعة عين شمس، مصر

Hadeer.Hassan@women.asu.edu.eg

أ.د/ كوكب محمد مصطفى عامر
استاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس – مصر
kawkab.amir@women.asu.edu.eg

د/ سهام إبراهيم عبد المجيد
المدرس بقسم الفلسفة
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس – مصر
seham.abdelmaged@women.asu.edu.eg

المستخلص:

تعد المعرفة الصوفية أهم ما يميز الفكر الصوفي عند النابلسى وغيره من الصوفية ، فهى تمثل الغاية العليا لدى كل صوفى ، فالمعرفة لديهم ذوقية وهى تجربة خاصة تأتى نتيجة مجاهدات السالك لنفسه ، واتصال العبد بربه اتصالاً روحياً ؛ ومن ثم ارتبطت هذه الغاية عند الصوفية بتحليلهم لطبيعة هذه المعرفة وموضوعها ومنهجها وغايتها ودرجة اليقين فيها ، والعارف المتحقق بالمعرفة الذوقية القلبية يشهد الحق بقلبه ، فتظهر ثمار تلك المعرفة على أخلاقه وافعاله ، وموضوعها الله تعالي وصفاته ووسيلتها القلب وليس العقل أو الحس ، فالكشف الالهى يتم بتجليات قلبية نورانية ، تكشف الحقائق التى لا تتأتى من خلال التعقل ، مما يجعل الصوفى على يقين كامل بوجود الله تعالى . إن أسمى صور السعادة عند الصوفية هى السعادة الناتجة عن كمال معرفة الانسان لله تعالى معرفة قلبية ، حيث تحقق التجربة الصوفية الطمأنينة والسكينة لأصحابها ، فالسعادة والطمأنينة تكمن فى إدراكهم لحقيقة وسبب وجودهم ، وهو حب الله وعبادته والمعرفه اليقنية التى لا يتطرق اليها الشك به تعالى . من اهم الاهداف التى توصلت اليها : بيان طبيعة المعرفة الصوفية وآداتها وموضوعها وغايتها عند الشيخ النابلسى . اما عن المنهج المتبع فى البحث هو المنهج الوصفى ، والتحليلى و المقارن. ومن اهم النتائج التى توصلت إليها إن أهم ما يميز المعرفة الذوقية عند النابلسى أنها معرفة خاصة نتيجة تجربة شخصية ، كما أنها معرفة مباشرة من الله ، تحدث فى ومضة سريعة فى حال الاتصال الروحى . ومناهم التوصيات التى توصلت اليها : الاهتمام بدراسة ومذاهب الشخصيات الصوفية المتاخرة ، لأظهار دورها الفعال فى المجتمع الاسلامى .

الكلمات المفتاحية: المعرفة الصوفية ، التصوف ، الذوق ، النابلسى.

المقدمة

لا يزال الصوفي يترقى في المقامات من مقام إلى مقام ومن حال إلى حال ، حتى يصل إلى معرفة الله تعالى ، معرفة يقينية لا دخل للحواس أو العقل فيها ، فيستمتع بمعرفة الله سبحانه وتعالى ، وذلك يشعره بالسعادة الغامرة .

والتجربة الصوفية أو الممارسة العرفانية الذوقية للصوفى في طريق التصوف ، وسفره الروحاني، ومايعيشه من المجاهدات والرياضات العملية والروحية ، وما يسلكه من مدارج وتحققه بالمقامات والأحوال . يثمر الكشف و المعرفة القلبية لله . فهى تهيأ قلب السالك لتلقى هذه المعرفة القلبية .

ولا يمكن للمريد السالك أن يسلك الطريق الصوفى من أجل الوصول إلى الحقيقة إلا بمعرفة احكام الشريعة والمفاهيم والمصطلحات الصوفية التي ترشده وتهديه في سفره الوجداني وترحاله الروحاني، والتي ستساعده بلا شك على امتلاك قبس المعرفة الذوقية اللدنية ، والقدرة على استكناه التجليات الربانية، والارتشاف من معين الإشراق الإلهي والكشف النوراني ، ويكون ذلك على يد شيخ صوفى متحقق يرشده فى طريق التصوف .

هذا، وقد أولى الشيخ عبد الغني النابلسي ([1]) المعرفة الصوفية عناية كبيرة ، لأنها هى الغاية من التصوف .فما هى طبيعة المعرفة الصوفية عند الشيخ النابلسى وما هى آداتها وخصائصها وأنواعها التى حددها ؟

---

[1]) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد إبن إبراهيم ، ولد سنة (1050هـ-1640م) ، ولد في مدينة دمشق بسوريا في منزل أسرته الكائن في سوق القطانين في حي الميدان . نشا عبد الغني النابلسي في أسرة متدينة عالمة ، اهتمت بالدين والعلم والمعرفة ،حيث لقب بيت النابلسي ب (بيت العلم)، ومن كان هذا شأن بيته ، فلاشك في أن تكون نشأته نشأة علمية إيمانية ، حيث كان أهل بيته لهم مكانة عظيمة ودرجات رفيعة في المجتمع من إفتاء وقضاء وتدريس وخطابة ، توارثوها حتي وصل الي حفيدهم الشيخ عبد الغني النابلسي ، وكان لهذه البيئة الخاصة اثرها في تكوين شخصيته وميوله الدينية والعلمية . وكان من أهم شيوخه الذين تتلمذ علي أيديهم ما يلي : 1-والده الشيخ اسماعيل افندي بن عبد الغني بن إسماعيل (المتوفى سنة 1032هـ) 2-الإمام الفقية نجم الدين محمد بن بدر الدين بن محمد بن شهاب الدين العامري ، الشهير بابن الغزي (ت1061هـ) 3 - الشيخ الإمام نور الدين علي بن علي أبو الضياء الشبراملي (ت 1087هـ) ولعل من أشهر تلاميذه : 1- محمد بن إبراهيم بن محمد الدكدكجي (ت1131هـ \ 1718م) . 2- محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (ت 1188هـ \ 1774 م) عاش عبد الغني النابلسي في زمان اضطربت فيه الحياة السياسية ، وانعكست آثارها علي الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والعلمية في البلاد ، فقد عم الفساد والاضطرابات ، والركود العلمي والتدهور العام لعموم انحطاط الدولة العثمانية ، تأثر النابلسي بهذه الاضطرابات وحاول أن يكون من المصلحين في عصره ، وكان صاحب دور فعال في شتي مجالات الحياة ، بدأت مسيرته العلمية في العشرين من عمره مارس التدريس في الجامع الاموي في "دمشق " ، بالقرب من منزله الواقع في العنبريين ، وعندما بلغ الخمس والعشرين غادر" دمشق " الي "أدرنه " وقد كانت آنذاك مقر الخلافة العثمانية ، وعندما زار =اسطنبول استطاع الحصول علي =وظيفة قاض في حي الميدان في دمشق . اشتهر عبد الغني النابلسي في دمشق ، كشاعر وأديب في سن الخامسة والعشرين ، عرف أولا في احدي الحلقات الترفهية الحضرية ، التي اعتاد الدمشقيون عقدها في مدينتهم ، كما انه برز ايضا في ذلك الوقت كصوفي متميز ، في اول لقاء له مع الشيخ الطريقة القادرية في مدينة حماة ، هذا الظهور الثنائي اللامع علي ساحتي الأدب والتصوف . توفي الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله بعد مرض لم يمهله طويلاً سنة (1143هـ-1731م) كان الشيخ عبد الغني النابلسي غزير التأليف ،بلغ عددُ مؤلفاته ما يزيد على 330 مؤلفاً ، ما بين كتاب ذي مجلدات أو رسالة في صفحات ، حيث ألف كتبا في الموضوعات التالية التصوف – الفقه - العقيدة (علم الكلام)- التفسير- الحديث- الشعر- الرحلات- تعبير الاحلام- فنون مختلفة. (الجبرتى، 1997م، صفحة 165) (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة المقدمة ى) (النابلسى ، العقود اللؤلؤية فى طريق السادة المولوية، 1435هـ، الصفحات 13-14) .

مشكلة البحث

1- ما المقصود بالمعرفة الصوفية عند الشيخ عبد الغنى النابلسى وما هى طبيعتها وخصائصها ؟
2- ما هى اداة المعرفة الصوفية الصوفية عند النابلسى هل هى العقل ام الحس ام الذوق القلبى ؟
3- ما هو موضوع المعرفة الصوفية عند النابلسى ؟ وهل اتفق النابلسى مع الصوفية السابقين عليه فى موضوع تلك المعرفة أم اختلف معهم ؟
4- ما هى غايات تلك المعرفة الصوفية التى يسعى النابلسى للوصول إليها ؟ وهل وصل لتلك الغايات حقاً وتحقق بدرجة اليقين فيها ؟

اهداف البحث

يهدف البحث إلى الإجابة عن الاسئلة المطروحة أعلاه موضحاً ما يلى :

1- طبيعة المعرفة الصوفية عند الشيخ عبد الغنى النابلسى وخصائصها
2- آداة المعرفة ومنهجها عند الشيخ عبد الغنى النابلسى
3- موضوع المعرفة الصوفية عند الشيخ عبد الغنى النابلسى
4- غايات المعرفة الصوفية عند الشيخ عبد الغنى النابلسى ودرجة اليقين فيها

أهمية البحث

تتمثل أهمية هذا البحث فى محاولة توضيح معنى المعرفة الصوفية التى يسعى الصوفية ، والشيخ عبد الغنى النابلسى إلى توضيحها للمريدين خاصة وللمؤمنين عامة ، وبيان خصائص تلك المعرفة الصوفية واداتها هل هى العقل أم الحس أم اداة اخرى لا يمكن التعبير عنها إلا بالتجربة التى يعيشها الصوفى ويذوقها ، وبيان موضوع تلك المعرفة التى ينشدها الصوفية هل هو الله تعالى ام شى اخر ، وبيان غايات تلك المعرفة الصوفية التى يصل إليها الصوفية . وتوضيح هل يمكن الوصول لتلك المعرفة الصوفية ام لا ؟ وهل وصل حقا الشيخ عبد الغنى النابلسى إلى التحقق بدرجة اليقين بتلك المعرفة ام لا ؟

منهج البحث

إن المنهج المتبع فى البحث هو المنهج الوصفى ، والمنهج التحليلى ، والمنهج المقارن إذا تطلب الامر ذلك .

المبحث الأول

طبيعة المعرفة الصوفية عند النابلسي ([1])

يوضح الشيخ عبد الغنى النابلسي أن المؤمن عامة والسالك خاصة هو من يلزم نفسه بالإتيان بالعمل ، والمداومة على الطاعة ، لكنه يتوكل على الله فى الوقت نفسه ، وأن فضل الله وتوفيقه وعنايته هو المكمل لظهور نتيجة العمل .

أولاً: التعريف بالمعرفة الصوفية عند النابلسى

الهدف الأساسى والغاية القصوى من وراء كل رياضات الصوفى ومجاهدته إنما هى موجهة إلى معرفة الله تعالى ، معرفة تليق بألوهيته ، لذلك اعتنى الشيخ النابلسي بتحديد الفرق بين العلم الكسبي والمعرفة الوهبية أو الذوقية ، قائلا: " " العلم " ما يأتى للعقل بالتحصيل وبذل المجهود أى بالاكتساب ،

[1]) المعرفة الصوفية : هى الغاية التى يسعى إليها الصوفية على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم ، وتلك المعرفة يلزمها كل من المجاهدات والرياضات الروحية التى لابد ان يقوم بها الصوفى والفضل الإلهى ، والمقصود بالفضل الالهى هو ذلك النور الذى يقذفه الله سبحانه وتعالى فى قلب المؤمن ، وعلامته التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود . (الجزار ، 2013م)

أما " المعرفة " ([1]) أو العرفان الذوقى الوهبي فهي ما يتأتى للقلب من الصفاء وقبول فيض عين الجود ، كذلك فقد وضع الصوفية بين العلم والمعرفة برزخاً ، يفصل ما بين البحر والمحيط ، هو المحبة التى اعتبروها ، آخر طور من أطوار العلم ، وأول طور من أطوار المعرفة " . (النابلسى ، غاية المطلوب فى محبة المحبوب، صفحة لوحة يمين رقم 139)

وقد استند النابلسي – كغيره من الصوفية - فى الاستدلال على المعرفة الصوفية بقوله تعالى : " وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا " . (2)

ومن الاحاديث النبوية الصحيحة التى استند اليها الصوفية لتأكيد المعرفة الإلهامية حديث : إن الله تعالى قال : " من عادى لى وليا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشى أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه " . (3) ، وذلك لما فيه اشارة إلى مقام التعليم الإلهى الذى يكرم الله به عباده المتجردين له .

والعلم نوعان: الأول كسبي، ويتأتى بالجهد والاجتهاد والتحصيل، وفيه يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ". (4)

والنوع الثاني هو العلم الفيضي أو الكشفي أو اللدني، حيث يقول سبحانه: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" . ([5]) ، ويقول سبحانه في شأن العبد الصالح المعروف بالخضر: "آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا". ([6])، ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولم تزل هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله " . (7)

وللمعرفة عند القشيري ([8]) وغيره من الصوفية طريقتين ، وهما : طريق الكسب وطريق الوهب. وهذا ما ذكره القشيرى على لسان أبى سعيد الخراز([9]) ، حيث قال : " المعرفة تأتى من عين الجود وبذل المجهود " . (عبد الغفار ، 2021م، الصفحات 829-830)

وهذا يعنى أن هناك طريقان لمعرفة الله معرفة لدنية وهبية من الله – الطريق الأول : هو طريق المجاهدة والتحقق بالمقامات والرياضات العملية للوصول إلى المعرفة اللدنية . والطريق الثانى : هو طريق الاجتباء والإصطفاء ، والطريق الأول يبدأ بالمجاهدة للنفس وينتهى بالمعرفة ، أما الطريق الثانى

---

[1]) المعرفة فى اللغة : مصدر من عرف ، يعرف ، والمعرفة والعرفان بمعنى واحد ، هو العلم ، وقد يكون العلم أخص من المعرفة ، فلا يقال فى حق الله تعالى عارف ، بينما يقال : عالم ، وذكر ابن القيم فروقاً بين المعرفة والعلم أبرزها : أن المعرفة تتعلق بذات الشى والعلم يتعلق بأحواله ، فمن قال : عرفت فلاناً ، غير من قال : علمت فلاناً كريماً حليماً . والمعرفة فى الاصطلاح : إدراك الشى على ما هو عليه ، وتكون مسبوقة بالجهل . (منظور، الصفحات 2897-2898)(الجوزية ، مدارج السالكين، 1423هـ -2003م، صفحة 314) .

[2]) سورة الكهف : آيه 65 .

[3]) حديث صحيح : رواه ابو هريرة ، كتاب صحيح البخارى ، البخاري ، رقم الحديث 6502 .

[4]) حديث صحيح : رواه أبو الدرداء ، كتاب صحيح أبى داود ، الألبانى ، رقم الحديث 3641 .

[5]) سورة البقرة : آيه 282 .

[6]) سورة الكهف : آيه 65 .

[7]) حديث صحيح : رواه معاوية بن أبى سفيان ، كتاب صحيح البخارى ، البخارى ، رقم الحديث 71 .

[8]) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة ابن محمد القشيرى وكنيته أبو القاسم ، وشهرته القشيرى ، ولد فى سنة376هـ ، وتوفى سنة 465هـ ، من مؤلفاته " الرسالة القشيرية " ، " كتاب الفتوى " ، هو من اشهر الصوفية الذين تبنوا قضية الدفاع عن التصوف والمتصوفة . (السبكى ، 1964م)

[9]) أبو سعيد أحمد بن عيسي الخراز ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ، ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري ، وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بانه " من أئمة القوم وجله مشايخهم ، وقيل أنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء " ، كان =أحد المذكورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية والمجاهدة ، توفي (سنة 286 هـ). الموافق(899م) . (السلمى، طبقات الصوفية، 2003م)

فإنه يبدأ بمعرفة الله ، وينتهى بالمجاهدة للنفس . قال تعالى فى طريق الاجتهاد : " وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا " . (1) وقال تعالى فى الطريق الثانى : " ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ " . (2) والاجتباء أو الاصطفاء يكون للشخص المنصرف عن الله ، ثم يحدث له شى غير متوقع فجأة ينتبه إلى وجود الله ويتوب اليه ، ويعرف ويتيقن أن الله موجود ، ثم يبدأ فى التعبد لله وممارسة الرياضات العملية والروحية ويجاهد الشر فى نفسه ، فهو بدأ بمعرفة الله أو أن الله جعله يعرفه بطريقة ما ، ثم بعد أن يتأكد من وجود الله يبدأ فى مجاهدة نفسه . على عكس سالك الطريق الذى عرف الله بعد طول مجاهدة لنفسه .

ويؤكد الشيخ عبد الغنى النابلسى على ضرورة العلم الكسبي بواسطة الشهود ، لأنه الطريق الموصل للمعرفة الشهودية فى قوله : "إن أراد السالك أن يدخل فى مداخل أهل المعرفة الإلهية والإيمان الكامل ، يسعى فى شهوده ما أمن به بالغيب ويشتغل مع ذلك بمطالعة الكتب وتعلم العلم ، أو تعليمه مع المحافظة على إيمانه بالشهود ، وطلبه له وسعيه فى تحصيله " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 202)

جمع النابلسى مثل اغلب الصوفية السابقين عليه بين الكسب والوهب فى المعرفة الصوفية ، حيث انه ذكر ان المعرفة تبدا بالكسب ومن ثم فى نهايتها يفيض الله تعالى على السالك بالوهب وسيتضح ذلك من خلال نصوصه.

وطريق الوصول لمعرفة الله تعالى عند النابلسي يتم من خلال شقين لاينفصل احداهما عن الآخر ، أولا : طريق الاجتهاد والسعى والعمل الجاد والمستمر للوصول إليه تعالى ، ثانياً : فيض الله تعالى وتوفيقه وكرمه ، وضرب النابلسى مثال لتقريب تلك الفكرة للأذهان بشخص ما أراد ان يسافر لبلد ما ، فإذا اجتهد وقصد بالفعل طريق سفره وترك اهله ووطنه وسافر بالفعل فانه سوف يصل إلى غرضه وغايته المرجوة (اى معرفة الله تعالى) ، لكن إذا اراد ذلك الشخص الوصول إلى تلك البلاد بقلبه فقط ، من غير سعى أو اجتهاد أو مغادرة وطنه واهله ، فانه ليس بمسافر وبالتالى لن يصل إلى غايته المرجوة (اى الله تعالى) ، يقول فى ذلك: " فمن طلب الحق تعالى فلولا أن يعرفه بوجه ما وهو طالب كمال معرفته ما طلبه ، ولا خطر فى باله حسن الوصول إليه سبحانه وكذلك من طلب الآخرة ، فلولا أنه يعرفها بوجه من الوجوه ما أمكنه أن يطلبها ولا كان يخطر على باله حسنها ، فكل من تيسر له الطلب المذكور فهو عارف لما يطلب معرفة الهامية حصلت له بمحض فيض فضل الله تعالى ، وهو الذى يسمى مريدا فى اصطلاح الصوفية ، وأما من كانت أرادته مجرد تشهى المعرفة الالهية وتشهى الوصول إلى الدار الآخرة من غير سعى فى طريق ذلك الموصل إليه ، فهو صاحب غرور فى الحياة الدنيا وليس بمريد ، كما أن من أراد السفر إلى بلاد مثلا إذا قصد ذلك بقلبه ولم يخرج من بلاده التى هو فيها فانه ليس بمسافر أصلا بل هو مشتهى السفر ، وانما المسافر من خرج من أوطانه وأعرض عن جميع أهله واخوانه وجرد قصده إلى مطلوبه واقبل بكليته إلى وجه محبوبه ومن كان كذلك فلا يخفى عليه شى من المسالك". (النابلسى ، الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، صفحة لوحة يمين رقم 32)

يذكر الشيخ عبد الغنى النابلسى أن الله تعالى يكلف العبد بالعمل الصالح والاجتهاد فى طريقه اليه ، إذا قام العبد بذلك العمل بإخلاص ، سوف ينعم الله تعالى عليه بمعرفته ، ومن ثم يظهر على ذلك العبد علامة الرضا ، يقول فى ذلك : " إن العبد مكلف بالعمل الصالح ، وفى حالة العمل الصالح عليه علامة رضاء الله تعالى بلا شبهة " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 59)

وبعبارة أخرى يمكننا القول بأن العلم اللدني هو نتيجة وثمرة لموافقة العبد لمرضاة الله تعالى، واجتهاده في طاعته والعمل الصالح مع الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول ابن القيم : " العلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة، والصدق مع الله، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله، وكمال الانقياد له، فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به ...فهذا هو العلم اللدني الحقيقي " . (الجوزية ، مدارج السالكين، 2001م، صفحة 446)

[1]) سورة العنكبوت : آيه 69 .

[2]) سورة الشورى : آيه 13 .

ويشترط الشيخ عبد الغنى النابلسى فى التوفيق الإلهى " العلم" ، فإذا تم التوفيق بالعلم ، فسوف ينتج الفيض الإلهى بقوله : " فالتوفيق إذا صحيح وتصحيحه بتحصيل العلم ، فإذا حصل له وصح توفيقه انتج الانابة " . (النابلسى ، الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، صفحة لوحة يمين رقم 222) (1)

وهو هنا يقصد العلم بالشريعة .

وهى نفس الفكرة التى سبقه اليه أستاذه ابن عربى ([2]) من أن معرفة الله تعالى تبدا (بالكسب) أى إذا بذل الإنسان وسعه فى كل ما كلفه الله به ، والتزم به سوف يفيض الله عليه بكثير من المواهب والمعارف الالهية ، يقول فى ذلك : " من التزم بالنوافل وتحقق بها ، فتح عليه فى معرفة نفسه وربه " . (عربى، رسائل ابن عربى (كتاب اليقين وكتاب المعرفة)، صفحة 180)

يتضح لنا مما سبق مدى اهتمام الشيخ عبد الغنى النابلسى بقيمة العمل والجد والمثابرة والإخلاص فى طريقه إلى الله تعالى ، حيث نجده يحث المريدين خاصة والمؤمنين عامة إلى الجد والاجتهاد (الكسب) فى كل الاوقات والاحوال حتى يصلوا إلى معرفة الله تعالى معرفة قلبية ، ونتيجة جهدهم وعزيمتهم يكلل الله تعالى جهدهم بالنجاح والتوفيق والفيض والاسرار(علوم الوهب) ، بتوفيق وفضل من عند الله ، وليس للمريدين دخل فيه ، هو هبه من الله تعالى ، بينما العمل الصالح هو فقط المنسوب للسالك ، بوصفه (مكتسب) .

ثانيا: مصطلحات المعرفة الصوفية عند الشيخ النابلسي

تعددت المصطلحات الصوفية الخاصة بالمعرفة الصوفية عند النابلسي - كغيره من الصوفية. (الجرجانى، 1424هـ- 2003م، صفحة 218)

والتى لابد لكل دارس للمعرفة الصوفية من أن يعيها ويفهمها ، ويمكن إجمالها فيما يلى :

1. العلم اللدنى ([3])

من المصطلحات الصوفية الخاصة بالمعرفة الصوفية عند النابلسي " العلم اللدنى "، إذ يقول : " العلم اللدنى الكاشف لصاحبه عن تجليات الله تعالى فى كل شى ، من غير تشبيه ولا تعطيل" (النابلسى ، شروح رسالة الشيخ أرسلان، 1969م، الصفحات 133-134) .

فالمعرفة عنده هى ادراك الشى على ما هو عليه ، وهى العلم الذى لا يقبل الشك إذا كان المعلوم ذات الله تعالى وصفاته .

يقول ايضاً : " العلم اللدنى هو الذى يجده المقبل على ربه بطريق الفيض الالهامى الالهى فى معانى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كله بسط ، لانه لا يبقى للنفس وجود حتى يتوجه عليها ما يقبضها فى حكم غيرها عليها ، إذا تتحقق منه النفس بعدمها الاصلى فيصير الخطاب الالهى باعتبار المعية الازلية ، فالحق تعالى هو الحاكم من حيث هو فى الحضرة

---

[1]) جمع الغزالى ايضاً بين التعلم الذاتى القائم على السماع والعلم ، كنوع من التدرج فى الاكتساب ، وهو حاصل الجهد والإخلاص فى العمل الصالح ، وبين التلقى الخارجى القائم على الذوق والسلوك ، وهو حاصل مواهب الله ومنحه ، ويتضح ذلك فى قول الغزالى: " حصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لى أن أخص خواصهم ، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات " (الغزالى، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذى العزة والجلال، 1967م، صفحة 101)

[2]) هو الشيخ الاكبر سلطان العارفين محى الدين أبو بكر محمد بن علي بن احمد الحاتمي الطائي ، من أشهر أعلام الصوفية ، (ولد سنه 560هـ \1165م) ، قال " ظافر الازدى الانصارى" رحمه الله تعالى فى رسالته المحتوية عنه : " رايت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محى الدين بن عربى ، وكان من اكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية وما قر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة ، وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالاً ، ، ومن مصنفاته "الفتوحات المكية "، " فصوص الحكم ". (العظم ، 1326م)

[3]) العلم اللدنى : هو العلم الذى لا واسطة فى حصوله بين النفس وبين البارى ، وهو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف . وحقيقة الحكمة تنال من العلم اللدنى ، لأن الحكمة من مواهب الله تعالى ، والواصلين إلى مرتبة العلم يتعلمون قليلاً ويعلمون كثيراً . (الغزالى، الرسالة اللدنية، 1328هـ)

الربوبية والمحكوم عليها من حيث العبودية فى حضرة القيومية " . (النابلسى ، خمرة الحان ورنة الالحان فى شرح رسالة الشيخ ارسلان، صفحة لوحة شمال رقم 53)
" والمعرفة بالله تعالى التى ينتجها العلم اللدنى تواصل إلى العبد من الله تعالى بلا واسطة كعلم الخضر عليه السلام ، الذى قال تعالى فيه : "آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا". ([1]) فان المسلمة من الله تعالى وشرحها منه تعالى ايضاً كلها دلائل من العارف بربه على ربه حيث اخترق الحجاب بينه وبين ربه " . (النابلسى ، خمرة الحان ورنة الالحان فى شرح رسالة الشيخ ارسلان، صفحة لوحة شمال رقم 53)
" هو الذى تجده فى قلبك من غير فكر ولا حفظ ، ويمكن ان يكون المعنى إذا افناك عن هواك ، اى ميلك إلى المهيات والمخالفات بالحكمة " . (الدمشقى، 1295هـ، الصفحات لوحة شمال رقم 113- لوحة يمين رقم 114)
والعلم اللدنى هو علم وهبى من الله سبحانه وتعالى .

2. الالهام

ومن مصطلحاتها أيضا " الالهام " فيقول : " (معرفة الله تعالى) وهى الجزم بوجوده سبحانه منزها عن مشابهة كل شى جزماً مستنداً إلى دليل عقلى أو كشف إلهامى وباتصافه بصفات الكمال ، وتسميه بأسماء الجلال والجمال فاعلاً كل شى ، والدوام على ذلك إلى الموت". (النابلسى ، رشحات الاقلام شرح كفاية الغلام على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه، 1426هـ-2005م، الصفحات 47-48).
يقول ايضاً : " فالعقل مخلوق فى الانسان لقبول ما يعرض الله تعالى عليه من امر الدين والشريعة ، فيصدق بجميع ذلك ايماناً بالغيب ، فاذا عرض الله عليه المعنى الالهى الصحيح بطريق الفيض والالهام قبل ذلك ، فكان له فقهاً فى الدين والهاما لرشده ، واما انه يخوض بفكره مع الخائضين ، فلا يباح له لانه يهلك مع الهالكين " . (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة يمين رقم 54)
وسمى الهاماً ، لأن الله يلهمه أياه من عنده فهى معرفة من الله تشرق على قلب السالك .

3. **الشهود**

كما يربط الشيخ عبد الغنى النابلسى بين المعرفة الصوفية و(الرؤية القلبية الشهودية) قائلا :" ان المعرفة الصوفية هى الرؤية بعين القلب بجمال تجلى الرب " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 156)
ويعبر النابلسى عن تلك المعرفة الصوفية الشهودية بقوله ايضاً : " معاينة عين القلب للشاهد الرب فى كل شى على التنزيه التام ". (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 159)
كما يرى النابلسى ان التقوى لدى الواصلين العارفين تعمل على دوام الحضور والشهود بين يدى الله عزوجل (اى معرفته) ، يقول فى ذلك : " وخاصة الخاصة منهم وهم الواصلون ، مأمورون بالتقوى فى دوام الشهود والحضور بين يدى الحق المعبود " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 246)
فالتقوى تزيل الغفلة والغشاوة والحجب عن القلب لدى السالك المتقى لله تعالى فى حالة شهوده لله تعالى شهوداً قلبياً والحضور معه حضوراً روحياً ، يقول النابلسى فى ذلك : " تقوى خاصة الخاصة من المؤمنين ، وهى الاحتراز من الغفلة عن شهود الله تعالى فى بدائع أفعاله " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 30)
أما عن الطريق الموصل للمعرفة الشهودية فيقول : " فالواجب على كل من يريد ان يسلك مسالك الرجال ، أهل التحقيق من العارفين أن ينظر إلى الوجود الحق الواحد المطلق ، حتى عن الإطلاق المنزه عن كل شى ، وهذا هو الوجود الظاهر . ثم يعلم أن كل محسوس ، وكل معقول ، وكل موهوم ، تقاديره وتصاويره القائمة به ، من غير قيام لها أصلاً ، وهو الظاهر بها من غير

[1]) سورة الكهف : آيه 65 .

تغيير ، لإطلاقه بسببها عما هو عليه ، ثم يعرف نفسه انه كذلك ، قائم به من غير قيام ، مثل جميع الكائنات ، ثم يفهم كلام العارفين الذين يشيرون به إلى هذا الأمر الحاضر المشهود للكل ، الذى ليس أحداً غائباً عنه أصلاً ، ولا تتصور الغيبة عنه أصلاً . ولكن العقول عنه مصروفة إلى الخيالات الوهمية ، والحواس مشغولة عنه بلذائذ المحالات . فإذا تحقق ذلك وفهم كلام العارفين على هذا ، كان منهم " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 333)

يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى ان شهود الله تعالى يعنى الحضور مع الله تعالى بالروح والقلب معاً، يقول فى ذلك : " ما احسن الإنسان إذا كان بروحه وقلبه مع الله تعالى فى شهوده تعالى ، ظاهراً بكل شى على طريقة أهل السنة والجماعة ، وبعقله مع العلوم الشرعية فهماً وتفهيماً وتعلماً وتعليماً" . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 347)

يذكر الشيخ عبد الغنى النابلسى إن المتحققين بالله تعالى يغيبون فى شهودهم عن كل شى سوى الله تعالى ، منشغولون فقط بمعرفته تعالى ، متلذذون بمشاهدة جلاله وعظمته تعالى ، يقول فى ذلك : " طريقتنا معشر أهل الحقيقة واليقين الموحدين لله تعالى توحيد أذواقنا شهوديا ، والمراد بالطريقة السيرة والحالة التى هم فيها فى الباطن والظاهر محبة الله تعالى فقط ، وهى سبل القلب إلى شهود الرب ، يعنى أن يغيبون فى شهوده عن شهود كل شى ويكونون مشغولون فى معرفته عن معرفة اى شى ، متلذذون بمشاهدته فى كل شى " . (النابلسى ، خمرة الحان ورنة الالحان فى شرح رسالة الشيخ ارسلان، صفحة لوحة يمين رقم 54)

يقول ايضاً : " تشهده اى تشهد ربك سبحانه وتعالى الذى ما غاب ولا يغيب ولا هو غايب بل حاضراً ناظراً سرمداً ، ونحن الذين نغيب عنه ونحضر بين يديه ، ونعمى عنه وننظر إليه ، فاذا شهدته ، ولا يمكن ان تشهد معه غيره " . (النابلسى ، خمرة الحان ورنة الالحان فى شرح رسالة الشيخ ارسلان، صفحة لوحة شمال رقم 66)

وهذا يعنى أن سبحانه حاضراً ، لا يغيب أبداً ، والانسان هو الذى يحضر ويغيب فاحياناً يكون مشاهداً لله قلبياً ويقظاً ، واحياناً يكون غافلاً .

" فمن زالت نفسه شهد وجه الله تعالى فى كل شى وشهد كل شى هالك فانيا ، وتحقق بانه مريد لله تعالى على كل حال فى يقظته وغفلته ، ومن بقيت نفسه معه شهد كل شى ، ولا يشهد وجه الله تعالى أبداً فلا يقدر " . (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة يمين رقم 64)

وهو يعنى بان السالك لا يشهد وجه الله تعالى ، أن رؤية الله تعالى غير ممكنة للانسان فى الحياة الدنيا ، وانما تكون فى الأخرة لأهل الجنة فقط .

4. المعرفة الوهبية أو الالهامية أو اللدنية

تمثل مقام خواص الاولياء لأنها تتم بلا واسطة من نقل او شيخ اوتعلم و غير ذلك ، وانما هى ادراك ذوقى مباشر من الله تنكشف فيه حقائق الامور، وهى نور يقذفه الله فى قلب من اراد من عباده ، قال تعالى :" ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ " .(1)

وهذه المعرفة لا ينالها الا اصحاب الورع والتقوى من السائرين فى طريق الله ، وذلك وارد فى قوله تعالى : " فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا" . (2)

يقول الشيخ عبد الغنى النابلسى فى ذلك : " والمعرفة من قبيل ما يحس به ويذاق ، بقوة الحواس والأذواق ، لا من قبيل ما يوضع فى صفحات الاوراق ، أو من قبيل ما تدركه العقول " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 359)

يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى ان العلوم الوهبية والالهامية بنيت على اصول (الكتاب والسنة) ومن خلال تلك الاصول وصلوا الى معرفة الحق تعالى ، اى بفضل هبة وسر من الله تعالى لعباده المخلصين ، يقول فى ذلك : " وعلوم الحقائق ، لها أصول وطرائق ، ومن ضيع الأصول ، حرم الوصول ... وسماع كلام الكامل ، أفضل من رؤية عمل العامل . فان السير بالاحوال أقرب من السير بالاقوال ، والحال حقيقة ، والقال مجاز فى الطريقة ، والعلوم الظاهرة كلها

[1]) سورة الجمعة : آيه 4 .

[2]) سورة الكهف : آيه 65 .

رسوم باهرة ، وبعد الرسوم ، اقوم فى صحائف الفهوم ، من قعد سيقوم ، إذا حصل له تجلى القيوم ، ومحو اناء القلوب ، امتلاء من الغيوب ، ورؤية الخلائق خلائق ، من أقطع القواطع والعلائق ، ورؤيتهم آثار القدرة ، صفاء للسريرة من الكدرة ، وهذا فتوح الوقت ، المنجى من المقت " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، الصفحات 343-344)

لذلك اكد الشيخ عبد الغنى النابلسى ان المعرفة الالهامية معرفة يقينية غير مظنون فيها لديهم ، لأنها تاتى من الامر الالهى الغيبى ، ولكنها قد تكون عند الجهلاء لها من الأمور المظنون بها، لذلك يرى النابلسى انه على المريدين ان لا يشتغلون بقول هؤلاء بل يشتغلوا فى طريقهم للوصول إلى معرفة الحق فقط ، يقول فى ذلك : " المعارف الالهية والحقائق الربانية وهو علم اهل الله تعالى الذى اختصهم به دون غيرهم تعليماً منه تعالى لهم ذلك من غير واسطة احد ليكون مقدمة للعلم به تعالى ، قال تعالى : " يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا " ([1]) . (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة شمال رقم 107)

5. المشاهدة

معرفة تحصل للروح بعين المشاهدة القلبية ، وذلك يكون عند السعى والاجتهاد بالتخلص من الصفات البشرية والبدنية الذميمة والالتحاق بالصفات الروحية الحميدة ، حتى يتم التحقق بمعرفة الله تعالى بالمشاهدة القلبية .

والمشاهدة الصوفية عند النابلسي هى مشاهدة الحق بالقلب ، وتكون بعد عملية روحية تستقر حتى يصبح : " ملكة راسخة حاصلة للسالك بسبب الممارسة والرياضة ، متى شاء استعملها ، فحضر مع الله ، ويسميها السادة الصوفية مشاهدة الحق ، وتوجد بالقلب فقط " . (عطا، 1407هـ - 1987م، صفحة 306)

لا يقصد النابلسى وغيره من الصوفية بمصطلح المشاهدة رؤية الله بالعين المجردة فى الحياة الدنيا ، بل يقصدون به رؤيته بعين البصيرة القلبيه .

وبذلك تعد المعرفة الصوفية عند النابلسى وغيره من الصوفية لدنية ، لأنها هبه من الله تعالى ، يفيضها على من يشاء من عباده الصالحين ، وبناء على هذا ، نرى ان النتيجة المترتبة عليها ، نتيجة تنتهى إلى حالة مفردة أى ذاتية ، لأنها تمثل تجربة خاصة .

6. المعرفة الذوقية

المعرفة الصوفية لدى النابلسى ليست مكتسبة من خلال الكتابات والأوراق والكتب ، ولا يمكن تعلمها او اكتسابها ، بل لها مذاق خاص ، يطلق عليها علم الاشارة الذى يقدحه الله فى قلوب عباده الأبرار ، يقول النابلسي فى ذلك : " فإن علوم الأذواق لا توضع فى القراطيس والأوراق ، ولكنها إشارات ، تقتدحها القلوب ولها فى اللسان شرارات ، وبالمشافهة فى الخطاب ، يتبين الخطأ من الصواب " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 343)

" فإذا قلت لى : بين لنا هذا الإدراك المخصوص الذى اختص به أهل هذه الطريقة ، وكيفية معرفتهم بمخلوقات الله تعالى المحسوسات والمعقولات ، والتى عرفوا بها ربهم سبحانه وتعالى ، أقول لك : قد كلفنى بما لا اقدر عليه إلا بالكلام ، لا بإيصال ذلك إليك بحيث ترى أنت كما أراه إلا بمعونة الله تعالى لك " . (عطا، 1407هـ -1987م، صفحة 292)

يوضح النابلسى ان المعرفة الذوقية الوجدانية تعمل على تنقية وازالة الغفلة والجهل من القلب ، وتبديلها بنور يوهج القلب وينيره ، يقول فى ذلك : " والمراد بالمعرفة الذوقية أنها تزيل الغفلة والجهل بالكلية " . (بن سليمان ، 1430-1431هـ، صفحة 901)

وهى معرفة خاصة يتذوقها من يخوض التجربة الصوفية .

ويؤكد النابلسى على استقلال المعرفة الصوفية عن سائر المعارف ، وعلى عدم جواز مقارنتها بغيرها من المعارف الحسية أو العقلية ، وانه لا يصح عدم إدراكها بغير أداتها (القلب) ، ويشتد غاية الشدة على كل من أنكر عليهم هذه المعرفة ، ولذلك ينصح النابلسى المؤمن الذى لم يستطع الوصول إلى إدراك المعرفة الصوفية أو لم يتذوقها ، ان لا يتدخل فى تحريفها أو الادعاء عليها

[1]) سورة البقرة : آيه 269 .

مادام لم يذقها أو يدركها ، لكن ينبغى عليه فى هذه الحالة أن يتركها وشأنها لأصحابها ، فيقول فى ذلك : " إنى أشرت لك بكلامى هذا إلى الإدراك المخصوص بأهل هذه الطريقة ، والذى انفردوا به فى جميع المحسوسات والمعقولات دون غيرهم من جميع أهل الأديان والمذاهب .
" فإن كنت أدركته ووجدته وذقته ، فهمت معانى كلامهم المبنية عليه عندهم من غير تأويل ولا تحريف ، وأيقنت بأنه حق لا شبهة فيه ، وإن لم تقدر على ذلك الإدراك فالذي أنصحك به أن تترك كلامهم لهم ولأمثالهم ، ولا تدخل فى تحريفه وتبديله ، وإياك أن تعتمد على إدراكك الوهمى ، وغفلتك المستولية عليك ، وليس وسعك إلا إنكار كلامى ، واعتمادك على ما أنت عليه من الإدراك ، فتعيش حيواناً ، وتموت حيواناً ، ولا حظ لك من النور المحمدى سوى القال والقيل ، والله على ما نقول وكيل " . (عطا، 1407هـ -1987م، صفحة 293)
يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى ان علومهم الذوقية عبارة عن تجربة خاصة بكل صوفى او مريد ، وهى بعيدة كل البعد عن الفهم او التخيل ، ولذلك عبر النابلسى عن تجربته الذوقية تلك بقوله : " والشيخ الأكبر وأمثاله رضى الله عنهم علومهم الباطنية ذوقية لا خيالية ، فلا تكاد تدرك بالتخيل والتفهم من دون ذوق ، ولنا فيها ولله الحمد قدم راسخة ، وهمه شامخة ، فراجعونا فيما تشابه وأشكل إن تخالج فى خاطركم شى من ذلك . والله الهادى إلى أقوم المسالك ، والمنقذ من جميع المهالك . ونحن الأن تركنا الاشتغال بالعلوم الظاهرة راساً لأنها خيالية ، آله ادراكها ومعرفتها الخيال ، والفكر ، والفهم ، واقبلنا بكليتنا على العلوم الباطنية الحقيقية ، لأنها ذوقية وجدانية ، وآله إدراكها الذوق والوجدان ، والكشف والعيان ، والعلم الظاهر علم خيالى مفهوم ، والكل لهم خيال وفهم ، والعلم الباطن علم ذوقى ، كشفى ، وجدانى ، وليس للكل ذوق ، وكشف ، ووجدان " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 242)
يقول ايضا : " ولم يبق إلا أصول اهل التحقق من العارفين ، وعمدتهم الذوق ، والوجدان ، والاحساس ، والكشف ، عما ورد فى الكتاب والسنة ، لا النظر العقلى ، ولا الفهم الخيالى الفكرى ، بل لا اعتبار عندهم بذلك ايضاً ، لأن ذلك يخطى ويصيب " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 329)
يوضح النابلسى ان العارف يعتمد على الاشارات والاذواق فى معرفته لله تعالى ، فمعرفته بالله تعالى متوقفة على تجربته الخاصة ، ولا تعتمد على شى سوى ذلك ، يقول فى ذلك : " فإن العارف تكفيه الإشارة " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 296)

7. معرفة كشفية ([1])

المعرفة الحقيقة لله عند النابلسى تقوم على الكشف القلبى ، لانها معرفة مباشرة عن الله سبحانه وتعالى ، و يوضح النابلسى معنى حقيقة الكشف لدي الصوفية قائلا : " الكشف هو رفع الحجاب عن عين القلب ورؤية الاشياء على ما هى عليه ، فقد يتعلق بالاخبار عن الاشياء المستقبلية او الماضية البعيدة عن الحضور او الحاضرة التى لا تعلم فى العادة فيكون كشفاً كونيا معه حجاب عن الحق لتعلقه بغيره تعالى ، والالتفات إلى هذا النوع من الكشف نقصان فى كمال اهل الله تعالى مالم يوجد منهم بلا قصد إليه ، والكشف المعتبر شهود الله تعالى فى كل شى على التنزيه التام وعدم الغفلة عنه فى جميع الاحوال ثم الكشف به تعالى عن كل شى وشهود كل شى قائماً بالله تعالى موجود بوجود الله تعالى متحركاً ساكناً به تعالى ، والكشف انواع شتى لا تحصى فان لكل إنسان ذوقا خاصاً وكشفاً مستقلاً استعداده وقبوله لتجلى الحق تعالى عليه " . (الدمشقى، 1295هـ، الصفحات لوحة شمال رقم 51-لوحة يمين رقم 25)
يقول ايضاً: " وحقيقة الكشف عند أهل المعرفة ، رفع حجاب الأغيار عن وجه الحق تعالى الطالع فى جميع الأطوار " . (عطا، 1407هـ -1987م، صفحة 328)

[1]) المعرفة الكشفية : هى ماتتاتى مباشرة عن الله ، وهى عبارة عن نوراً باهراً يخلقه الله تعالى فى قلب الصوفى فهو يعلو عن العقل ، فلا يمكن للعقل بمفرده تفسير تلك المعرفة أو تحليلها ، لأنها تسمو فوق طاقته المقيدة بعالم المحسوسات ، فيرى به العارف من الحقائق ما لا يراه غيره . (مديحة حمدى عبد العال)

بمعنى أن السالك يصير عارفاً بالله معرفة كشفية يقينية قلبية يزول معها كل شك ، ويفيض الله تعالى على قلبه من لدنه فى نهاية الطريق معرفة نورانية ذوقية بعد أن يزيل عن قلبه الحجب ، فتتجلى بصيرته وتنقدح فى قلبه معرفة الله معرفة نورانية وهذه المعرفة لا تكون إلا لخواص أولياء الله .

يبصر الله تعالى السالكين من الصوفية بالكثير من انوار حقيقته وتجليه تعالى ، يقول النابلسى ايضاً : " بصره الله تعالى بأنوار حقيقته ، وكشف له عن سره المستتر بأوهام خليقته " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 275)

يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى ان السالك اذا كان مشغولا بالله تعالى طوال الوقت لا يوجد فى قلبه سواه ، فان الله تعالى يجزيه بأن يكشف عن قلبه كل غشاء ، فينظره بعين التحقيق ، ويبصره عن نفسه المستترة عنه ويبصره عن ربه ايضا ، يقول فى ذلك : " إذا صرت عبداً له صرفا يكشف الله سبحانه وتعالى لك عن نفسك التى كانت مستترة عنك بهواك وإرادتك لغيره تعالى فيزول هذا الستر عنك ، وتصير نفسك مستترة عنك بهواك وإرادتك له تعالى ثم يزول هذا الستر الثانى عنك ايضاً ، فتضمحل اى تفنى بالكلية العبودية التى فيك لله تعالى فى ضمن صفة الوحدانية التى لله تعالى ، فيفنى العبد كما هو فان فى حقيقة الامر". (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة يمين رقم 114)

يقول ايضاً : " أما كون ذات الله تعالى وصفاته وافعاله ، فهذا أمر باطن خفى وسر لا ينكشف الا للمحققين من اهل المعرفة " . (النابلسى ، الكوكب السارى فى حقيقة الجزء الاختيارى، 1349هـ - 1931م، صفحة 20)

ثالثا: أهم خصائص المعرفة الصوفية أو معرفة الخواص

من أهم خصائص معرفة الخواص كما وضحها النابلسى من خلال نصوصه :

1- أنها معرفة لدنية الهامية من الله بينما المعرفة العقلية مكتسبة . فالمعرفة الالهامية تنتمى إلى " الفيض الالهى " الذى ينير الوجود لكل المخلوقات ، لان المعرفة الصوفية فى جوهرها لا دخل للعقل فيها ، لذلك يذكر النابلسى أن العقل لايمكنه الخوض وراء حقائق الاشياء ، فكيف يمكنه الوصول إلى المعرفة الالهية ، التى يفيضها الله على قلب العارف فى حال الفناء الحسى ، ويقول فى ذلك : " أن العقل لا يستطيع الغوص وراء حقائق الأشياء ، ليصل بنا إلى نتيجة حاسمة (اى معرفة لا يتطرق إليها الشك) " . (عطا، 1407هـ -1987م، صفحة 290)

وذلك يكون فى حالة الفناء عن الحس فى حال الذكر أو السماع ، فيفنى السالك عما حوله ، ثم يفنى عن نفسه ويبقى بالله .

يقول ايضاً : " المكشوف الظاهر لكل بصر وبصيرة لا يعرف بالتخيل والتمثيل ، وانما العناية الربانية تقوى بها البصيرة الإنسانية فتوجب الحضور ، " وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ" . ([1]) " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 276)

2- العقل أداة لا تصل بالإنسان إلى المعرفة القلبية الصوفية ، وإنما تصل به إلى المعرفة العامة ، أما المعرفة الخاصة فلها مدارك أخرى ، يقول النابلسى فى ذلك : " لأن العقل التام لا يمكنه أن يدرك الرب سبحانه وتعالى – وهو حقيقة الحقائق ومعرفة المعارف – مع أنه يدرك كل شى ، لأن الله تعالى فى غاية اللطافة ، والعقل بالنسبة إليه فى نهاية الكثافة ،وقد قسم الله تعالى هذا العالم إلى لطيف وكثيف ، وحجب الأول عن الثانى ، ولم يحجب الثانى عن الأول ، حتى يكون عبرة تامة فى معرفة الرب سبحانه وتعالى ، قال تعالى : " لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ". ([2]) ، وهذا لف ونشر على الترتيب ، فعدم إدراك الأبصار له لأنه لطيف ، وإدراكه الأبصار لكونه خبيراً " . (عطا، 1407هـ - 1987م، صفحة 288)

3- توهب " معرفة الخواص " لاشخاص معينين مقربين إلى الله تعالى ، يقول النابلسى فى ذلك : " وخواص الخواص وهم العارفون بالله تعالى وبنفوسهم فى تجلياته القائيمون بنفوسهم فى الايمان ، والامتثال والاجتناب ظهورا من ظهوراته سبحانه " . (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة يمين رقم 138)

---

[1]) سورة النور : آيه 40 .

[2]) سورة الأنعام : آيه 103 .

يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى إن العارفين بالله تعالى هم الواصلين إلى الايمان القلبى به تعالى وهم تغمرهم سعادة وطمأنينة قلبية طوال الوقت ، يقول فى ذلك : " تفردوا دون غيرهم بالوصول إلى طمأنينة الوجدان أى (السعادة القلبية واليقين) بوجود الحق تعالى " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 156)

يذكر الشيخ عبد الغنى النابلسى ان العارفين بالله تعالى لهم مقامات ، المقام الأول الاعلى نازل من عند الله : وهو من راى الله تعالى قبل كل شى (اى احتجب به تعالى عن رؤية كل شى) ، المقام الثانى الصاعد إليه : وهو من راى الله تعالى بعد كل شى (اى احتجب به تعالى عن رؤية كل شى)، المقام الثالث : هو من راى الله تعالى فى كل شى (اى انه العارف الجامع لكل شى الحق والخلق ليس بمحجوب عن الحق بالخلق ولا عن الخلق بالحق) ، يقول فى ذلك : " ومن مقام العارف قول من قال ما رايت شيئاً إلا رايت الله قبله وبعده وفيه ومن راى الله تعالى قبل كل شى احتجب به تعالى عن رؤية كل شى ، وهو مقام العارف ومن راى الله تعالى بعد كل شى احتجب به تعالى عن رؤية كل شى ، وهو مقام العارف ايضاً ، لكن الاول اعلى لانه نازل من عند الله والثانى صاعدا إليه والنازل قرآن والصاعد فرقان ، قال تعالى : " إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا " . (1) وقال تعالى : " إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ " . (2) والقران واحد واما من راى الله فى كل شى فهو العارف الجامع للحق والخلق ، فليس بمحجوب عن الحق بالخلق ولا عن الخلق بالحق " . (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة شمال رقم 61)

4- ان الالهام يؤدى الى المعرفة اليقينية ، يقول النابلسى فى ذلك : " فيعلمهم كيفية الوصول إليه ، ويدلهم به عليه فيكشف لهم عما استتر على غيرهم فيعرفونه ذوقاً وشهوداً " . (النابلسى ، الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، صفحة لوحة يمين رقم 346)

5- معرفة الخواص تفوق الوصف ، أى أنها لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الممارسة المباشرة ، لذلك يوضح الشيخ عبد الغنى النابلسى إن المعرفة الصوفية والذوقية لا يمكن شرحها ، لأنها عبارة عن تجربة ذوقية يشعر بلذتها صاحبها فقط ، يقول فى ذلك : " فإن قلت لم نفهم نحن من كلامك هذا شيئاً قلت نعم الأمر كذلك ونحن نعلم كذلك ، ولكن نحن لم نتكلم لغير أهل طريقتنا ، فإن الأمور الذوقية الوجدانية ، كلذة المأكل والمشرب ، لا تدرك بغير الذوق والوجدان ، وليس فى العبارات كلها ولا فى الاشارات ما يؤدي معناها لمن لم يذقها فى عمره " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 202).

ومما يروى فى التصوف الاسلامى من أن علومه كلها ذوق ان تلميذا للصوفى المشهور ابن عربى جاء يوما ليقول له: "ان الناس ينكرون علينا علومنا، ويطالبوننا بالدليل عليها، فقال له ابن عربى ناصحا: "إذا طالبك أحد بالدليل والبرهان على علوم الاسرار الالهية، فقل له: ماالدليل على حلاوة العسل فلابد ان يقول لك: هذا علم لايحصل الا بالذوق! فقل له :هذا مثل ذاك!" . (عربى، التدابيرات الالهية فى اصلاح المملكة الانسانية، 1919م، الصفحات 114-115)

6- التجلى والاشراق ، يقول النابلسى فى ذلك : " استيلاء أنوار الحق عليك بحيث تنطمس رسومك ويترتب على ذلك أن تقوى البصيرة وذهاب الصورة (ظهور الأمر المقصود) لك ، وهو تجلى الحق تعالى القديم الأزلى " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 86)

ويؤكد النابلسى حدوث ذلك التجلى والاشراق للمريد بقوله : " فيتعشق التحقيق من معانى تجلياته ، ويتطلب الكشف عن سر توجه أسمائه الحسنى على ايجاد مخلوقاته ، بحيث يبيت ويصبح لا همة له فى غير ذلك " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 202)

لكل سالك تجليات وفتوحات قلبية خاصة به حسب الحال الذى هو عليه ، لأن ذلك الفتح الالهى ثمرة لاعمال السالك وطاعاته ومجاهداته الخاصة ، يقول النابلسى فى ذلك : " فتجد لكل إنسان فتحاً مخصوصاً من حيث ما هو عليه من مقتضى خلقته وطبيعته ، فإن علوم الحقائق هى ثمرات الأعمال والطاعات " . (عطا، 1407هـ -1987م، صفحة 294)

[1]) سورة يوسف : آيه 2 .

[2]) سورة فاطر : آيه 10 .

رابعاً : اشكال المعرفة الصوفية

يذكر النابلسي للمعرفة الصوفية اشكال ثلاثة هى على التوالى : المكاشفة ، والتجلى ، والمشاهدة

1-المكاشفة

استند الصوفية فى بيان هذا الشكل من أشكال المعرفة الصوفية على قوله تعالى : " لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ " . ([1]) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حجابه النور لو كوشفنا به لاحترقنا " . ([2])

وحقيقة الكشف عند النابلسى إنه منحة إلهيه ربانية أفاض الله تعالى بها على من يشاء من عباده المخلصين ، لكى يكشف لهم عن الغيبيات التى كان لا يعلمون عنها شى ، وليست شيئا عاما للناس جميعا ، يقول فى ذلك : " المعرفة الكشفية هى منحة إلهية ولا تكليف بمثلها إجماعاً " . (النابلسى ، شرح إضاءة الدجنة فى عقائد أهل السنة، صفحة 31)

يسترشد النابلسى بمقولة الشيخ الاكبر ابن عربى لكى يثبت ان الوصول لمراتب الكشف والعيان، ليس بالامر اليسير ، انما يكون نتيجة مجاهدة الانسان نفسه ، واتقانه فى تلك المجاهدة ، يقول النابلسى فى ذلك : " وانما مراتب الكشف والعيان ظهور ذلك على حسب استعداد الإنسان ، وليس هو الذى كلف الله تعالى به العبد ولكنه السبيل إلى حقيقة الأتقان كما اشار اليه الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله عنه " . (النابلسى ، الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، صفحة لوحة شمال رقم 17)

2-التجلى

استند الصوفية فى اثبات ذلك الشكل من المعرفة الصوفية لديهم على قوله تعالى : " فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ " . ([3]) ومن الاحاديث الشريفة استندوا الى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " اذا تجلى الله لشى خضع له ذلك الشى " . ([4])

التجلى عند النابلسى هو استيلاء انوار الحق على السالك حيث تغيب الصفات البشرية ويمتلك الصفات الملكية ، يقول النابلسى فى توضيح ذلك المعنى للمريدين : " وتجعله أى ذلك النور يا أيها الذاكر فى مقابلة البصيرة حتى لا يغيب عن بصيرتك فى كل حال ، ومع حفظ ذلك المذكور كله ، أى الاحتفاظ عليه والملازمة له تتوجه أنت إلى القلب الصنوبري فى الجانب الأيسر منك ، بجميع القوى التى فيك والمدارك أى الآلات التى تدرك بها فى نفسك إلى أن تقوى البصيرة التى لك على إدراك الحقائق الإلهية والمعارف الربانية وتذهب عنك الصورة النورية التى تصورتها أولاً فى الابتداء باستيلاء أنوار الحق عليك بحيث تنطمس رسومك ويترتب على ذلك المذكور تقوى البصيرة وذهاب الصورة ظهور الأمر المقصود لك ، وهو تجلى الحق تعالى القديم الأزلى " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 86)

تتضح اهمية التجلى لدى الصوفية عامة والنابلسى خاصة فى انه لا يتوقف فقط على معرفة السالك بالله تعالى ، بل يتيح للسالك معرفته لنفسه وغيره ايضا ، ولكن عند تجلى الله تعالى للسالك يقين السالك بانه لا وجود غير وجود الحق تعالى فى الوجود ، لذلك ربط النابلسى معنى التجلى والظهور لدى السالك بالكشف الصوفى ، ويتضح ذلك فى قوله : " وإن أردنا ب" الظهور " " التبين " الذى هو إخراج الشى من حيز الإشكال إلى حيز التجلى ، أى " الاتضاح " فإن المراد ب" التجلى " " الانكشاف " التام " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 296)

---

1) سورة ق : آيه 22 .

2) حديث صحيح : رواه الامام مسلم فى صحيحه /تحت رقم 179 (باب الايمان) ان الله لا ينام، وابن ماجة فى صحيحه / تحت رقم 163 (في السنه باب الجهمية) عن ابن موسي الاشعري..بلفظ "ان الله تعالي لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابة النور لو كشف لاحرقت سيحات وجه ما انتهي اليه بصره من خلقه".

[3]) سورة الاعراف : آيه 143 .

4) يقول المناوي في كنوز الحقائق جـ1 ص53 ان حديث "ان الله اذا تجلي لشئ خلقه خضع له" اخرجه الديلمي – بلفظه– في مسند الفردوس. حديث حسن صحيح .

يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى ان التجلى لدى الصوفية يشترط وجود نفس السالك لربه ، اى انه لا يصح التجلى بوجود نفس السالك فقط أو وجود ربه فقط ، لأن الذى يكون بنفسه فقط دون ربه صاحب شرك خفى ، والذى بنفسه دون نفسه صاحب سكر وفناء ليس بعارف نفسه ولا عارف ربه ، والعارف عارف بهما قائما بهما ، اى انه صاحب حضرتان ، يقول فى ذلك : " والعارف بالله تعالى المتحقق فى معرفة العبد والرب القائم بنفسه فى عين قيامه بربه ماله بنفسه فى غير تجلى ربه حول اى تحول وانتقال من مكان إلى مكان ، او حال إلى حال او مقام إلى مقام بل انتقاله فى جميع ذلك بنفسه القائمة فى حضرة تجلى ربه فهو بنفسه لربه لا بنفسه فقط ولا بربه فقط ، فان الذى بنفسه دون ربه صاحب شرك خفى ، والذى بنفسه دون نفسه صاحب سكر واستغراق ليس بعارف نفسه ولا بربه ، والعارف عارف بهما قايمة بهما ، ليس عنده الا واحدة ، ولكن له حضرتان فهو يعطى كل حضرة حقها ويقيم الميزان ذا الكفتين واللسان " . (النابلسى ، خمرة الحان ورنة الالحان فى شرح رسالة الشيخ ارسلان، الصفحات لوحة يمين رقم 56- لوحة شمال رقم 57)

3-المشاهدة

استند الصوفية فى بيان ذلك النوع من المعرفة الصوفية الى قوله تعالى: " مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ " . ([1])

والمشاهدة عند النابلسى هى رؤية أنوار وتجلى الله تعالى بعين القلب ، يقول فى ذلك : " والمشاهدة أى الرؤية بعين القلب بجمال تجلى الرب " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 156)

حلل النابلسى درجات المشاهدة مستعينا برموز مثل النور ، فالانوار تظهر تدريجيا على القلب مثل البروق واللوامع ، والنابلسى بتحليله هذا يتشابه كثيرا مع تحليل معلمه الاكبر ابن عربى لدرجات المشاهدة ([2])، يقول النابلسى فى ذلك : " واعلم ان الحضور معه تعالى والشهود به لا يكون ابداً إلا فى الاشياء الموجودة معقولة كانت أو محسوسة ، فإذا دامت الاشياء مشهودة مع الحضور ، فالعبد فى مقام شهود أفعال الله تعالى ، فإن كانت الأشياء غير مشهودة مع الحضور بل المشهود نور واحد كالبرق اللامع ، فالعبد فى مقام شهود صفات الله تعالى ، وإن لم يكن شى من الأشياء مشهوداً مع الحضور ، فالعبد فى مقام شهود ذات الله تعالى ، والمحمدى الكامل تعتريه الأحوال الثلاثة ، ولا يقف معها فهو ينتقل فيها ويتقلب معها أبداً على اختلاف الحضرات والتجليات ، وليس له مقام مخصوص ، وإلى ذلك إشارة قوله تعالى : " يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ " . ([3]) ، ويثرب من اسامى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا كله فى الحضور والشهود بالذوق والوجدان " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 107)

وبعد الانتهاء من بيان طبيعة المعرفة الصوفية ، علينا أن نوضح أداة المعرفة ومنهجها عند شيخنا .

---

[1]) سورة النجم : آيه 11 .

[2]) يحلل ابن عربى درجات المشاهدة مستعيناً برمز النور والمرآة ، فالانوار تظهر تدريجياً على القلب مثل البروق واللوامع واللوائح التى تتخللها فترات فان زادت صقالتها يظهر بمثال السراج والشمع والمشعلة ، فمتى ازدادت تزداد انوارها حتى يظهر بصورة الكواكب والهلال والبدر التام والشمس ثم تظهر انوار مجردة من الخيال بعضها ازرق وبعضها كالدخان وبعضها ابيض ، واذا امتزج نور الروح بصفاء القلب يظهر نور اخضر ، واذا صفا القلب بالكلية يتولد نور كشعاع الشمس واذا انعكس نور الحق مع نور الروح امتزجت المشاهدة مع ذوق الشهود واخيرا يتولد نور ميتافيزيقى بغير واسطة الروح والقلب ، ترتفع فيه الكيفية والمثلية والضدية ، فلا تماثله الانوار المخلوقة . (عربى، تحفة السفرة إلى حضرة البررة، الصفحات 82-84).

[3]) سورة الأحزاب : آيه 13 .

المبحث الثانى
أداة المعرفة ومنهجها
أولا : أداة المعرفة الصوفية

إذا كان الفقهاء يعتمدون على ظاهر النص ، وعلماء الكلام يستندون إلى الجدل ، والفلاسفة يعتمدون على العقل والمنطق والبرهان الاستدلالى ، فإن المتصوفة يعتمدون على الذوق والحدس والكشف والوجدان والقلب ، أي أن لغتهم لغة ذوقية باطنية تنفى الوساطة ، وترفض الحسية وتتجاوز نطاق الحس والعقل إلى ماهو غيبى وجدانى وذوقي .

قال تعالى : " وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ " . ([1]) وهذه آيه تبرز أن التقوى كعمل قلبى ، أساسها المجاهدة ، شرط أساسى لتحقيق العلم بالله ، فالقلب المتقى ، هو المتخلى عن جميع الأغيار هو القلب الذي يصلح للتحلية بالمعارف الإلهية ، وهى آداة المعرفة الصوفية.

أداة المعرفة إذن هى : " القلب " وليس " العقل " ؛ فالعقل لا مدخل له بالمعرفة الذوقية بصورتها الصحيحة ، وذلك لأنه لا يملك أسرار الربوبية ، فالصوفى لا يعرف الله إلا بالله ، لكن هذا لا يعنى معاداة الصوفية للعقل ، وإنما هو توصيف محدد لكيفية معرفة الله وصفاته ووسيلته التى تتحقق به .
اكد النابلسى مثل سابقيه من الصوفية ([2]) أن آداة المعرفة الصوفية القلب وليس العقل، لذلك نجده يفرق بين نظر العقل ونظر القلب حين يتحدث عن المعرفة الصوفية ، لأنه يرى أن من ذاق المعرفة القلبية التى أداتها القلب علم ما قال الصوفية عنها ، لكن من لجأ للعقل كأداة للمعرفة الصوفية تاه واحتار، يقول فى ذلك : " ومن نظر بعين المعرفة علم ما عقلناه ، ومن نظر بعين العقل حار فى عماه" . (عطا، 1407هـ -1987م، صفحة 287)

يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى ان القلب هو الاداة الصوفية الدقيقة التى يحصل من خلالها العارفون على الاسرار الالهامية والمعارف الربانية ، والانوار الالهية ، يقول فى ذلك : " القلب هو ما اشتمل عليه من الاسرار وانطوى عليه من الانوار " . (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة شمال رقم 91)
اهتم النابلسى كثيراً بالقلب كأداة للمعرفة الصوفية حيث نجده ينصح المريدين بالحرص على عدم دخول الاغيار فى قلوبهم كى لا يفسد القلب ، لأن القلب هو الاداة التى تتيح المعارف الالهية والمعارف الربانية ، يقول فى ذلك : " وكذلك أنت يا أيها المريد أحرص على قلبك واحتفظ عليه من دخول الأغيار كيلا يفسد عليك ، حتى يستخرج منه ما تستأنس به من معرفة الله تعالى ، فمن ذلك أى من القلب ، الأحوال الإلهية والمعارف الربانية فيك يا أيها المريد أى فى نفسك تولد ، بالبناء للمفعول وتشديد اللام أى يولدها قلبك فيك " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 123)
ربط النابلسى بين المعرفة القلبية والتقوى ، فكلما كان السالك لديه تقوى لله تعالى أدى ذلك إلى تأهيل القلب للمعرفة الذوقية بالله تعالى ، يقول فى ذلك : " فإذا كان العقل يستدل على وجود الله ، فإن التقوى تنتج الفتح الالهى فى الرحمة الإلهية التى هى وسيلة معرفة الرب سبحانه وتعالى ، بل ومعرفة حقائق المحسوسات والمعقولات لا مجرد الاعتبار بها ، واعتبارها دليلاً فحسب ، ومعرفة المخلوقات ومعرفة الله من خلالها نتيجة للفتح الإلهى الناشى عن التقوى " . (عطا، 1407هـ -1987م، صفحة 292)

---

[1]) سورة البقرة : آيه 282 .

2) يوضح ابن عربى طبيعة المعرفة الصوفية وأساليب تحصيلها واداتها (القلب) ، فيقول : " إن علومنا غير مقتنصة من الألفاظ ولا من أفواه الرجال ولا من بطون الدفاتر والدروس ، بل علومنا من تجليات على القلب عند غلبة سلطان الوجد وحالة الفناء بالوجود ، فتقوم المعانى مثلاً وغير مثل على حسب الحضرة التى يقع التنزل فيها ، فمنها ما يقع فى باب المحادثة ، ومنها ما يقع من باب المسامرة ، ومن باب ما ينقال ، ومن باب ما لا ينقال " . (عربى، كتاب المسائل، 1730هـ، الصفحات 6-7) .

ويرى الشيخ عبد الغنى النابلسى ان الوصول للمعرفة الصوفية لا تكون بالتخيل ، إنما تكون بدوام حضور القلب مع الله تعالى اى باداتهم وهى القلب ، يقول فى ذلك : " دوام الحضور بالقلب مع الحق سبحانه وتعالى على سبيل الذوق أى (الوجدان والتحقيق) ، لا العلم به تعالى على طريق التخيل " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 107)

وضح النابلسى ان الصوفية عرفوا الله تعالى باداة القلب وليس باداة اخرى ، يقول فى ذلك : " حتى ينفتح للقلب باب سرهم النورانى وينكشف له حقيقة ركوزهم على مراكز الشريعة المحمدية- أى التمسك بالسنة- وذلك بالتعلق بالحق المبين ، ثم بالتخلق ، وهى الرياضة الحقيقية الروحانية " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، الصفحات 118-119)

كما يؤكد الشيخ عبد الغنى النابلسى إن استخدام العقل أو الحس كآداة للمعرفة الالهية ، هو استخدام غير صحيح ، لأن الحس والعقل يختلفان بحسب الاعتبارات المختلفة من فرد إلى آخر، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى الانحلال فى معرفة الله تعالى ، لأن كل فرد سوف يتفهم معرفة الله من وجهه نظره هو ، ولكن المعرفة الصوفية التى اداتها القلب ، هى الجديرة إن تصل بصاحبها إلى اليقين التام فى معرفة الله تعالى ، يقول فى ذلك : " إن الناس يتفقون على إدراك واحد للمحسوسات والمعقولات ، غير الإدراك الذي عند أهل هذه الطريقة المرضية ، فترى أهل الأديان كلهم يردون على بعضهم بعضاً ، ويكفر بعضهم بعضاً ، باعتبار اشتراكهما فى الإدراك الواحد للمحسوسات والمعقولات ، بسبب اعتبارات مختلفة فى وجوه تلك المحسوسات والمعقولات .

وأهل هذه الطريقة ينظرون إليهم ، ويعرفون ما هم فيه من الخطأ والوهم والغفلة عن معرفة الأشياء المحسوسات والمعقولات ، ولا يرون فيهم الاستعداد لزوال ذلك الوهم ، وتلك الغفلة عنهم إلا بمعونة الله تعالى والفتح المذكور " . (عطا، 1407هـ -1987م، صفحة 292)

إن الحس يدرك ما هو محسوس ، والعقل يدرك الأمور العقلية وما فوق الحس والعقل لايدرك إلا بالقلب ، والخبر المنزل .

كما يوضح الشيخ عبد الغنى النابلسى ان معرفة الله تعالى من خلال العقل تتوقف عند حدود اربعة وهى اولا : العلم بوجوده ، ثانيا : العلم بعدم انتهاء وجوده ، ثالثا : العلم بصفات جلاله ، رابعا : العلم بصفات إكرامه ، وكل هذه المعارف الاربعة اعتبارات اضافية وسلبية ، لكن الاعتبارات السلبية والاضافية تلك هى ليست ذاته المخصوصة ، أى انها مغايرة تماماً عن ذاته المخصوصة لذلك تعجز العقول البشرية للوصول لحقيقته المخصوصة ، بل حقيقته المخصوصة يتم التوصل إليها عن طريق القلب ، يقول فى ذلك : " إذا رجعنا إلى عقولنا لا نجد عند عقولنا من معرفة الله تعالى إلا أحد امور أربعة إما العلم بكونه موجوداً واما العلم بدوام وجوده ، وأما العلم بصفات الجلال ، وهى الاعتبارات السلبية واما العلم بصفات الإكرام وهى الاعتبارات الاضافية ، وقد ثبت بالدليل أن ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الأربعة ، فإنه ثبت أن حقيقته غير وجوده ، وإذا كان كذلك كانت حقيقته ايضا مغايرة لدوام وجوده وثبت ايضا ان حقيقته مغايرة للإعتبارات السلبية والاضافية ، وإذا قد تحقق انه ليس فى عقولنا من معرفته تعالى الا هذه الامور الاربعة ، وانها مغايرة لحقيقته المخصوصة ثبت ان حقيقته المخصوصة غير معقولة للبشر ، وأنه لا سبيل إلى ادراكه من حيث هو هو ، وهو المسمى بالمعرفة الذاتية وانما نعرفه بالامور الخارجية عنه ، وهو المعرفة العرضية وهى كما إذا رأينا بناء علمنا بطريق الابصار بانه لابد له من بان ، فالمعلوم بالذات هو البناء وأما البانى فهو معلوم بالعرض " . (النابلسى ، الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، صفحة لوحة يمين رقم 4) ([1])

[1]) فرق الصوفية بين القلب والعقل من حيث هما أداتان للإدراك ، وميزوا كذلك بين نوعى الإدراك الحاصلين منهما ، واختصوا كلا منهما باسم : فسموا إدراك العقل " علماً " ، وإدراك القلب " معرفة " وذوقاً : وسموا صاحب النوع الأول " عالماً " ، وصاحب النوع الثانى " عارفاً " ، والفرق الجوهري بين المعرفة والعلم أن المعرفة إدراك مباشر للشيء المعروف ، والعلم إدراك حقيقة من الحقائق ، عن الموضوع المعلوم ، والمعرفة " حال " من أحوال النفس يتحد فيها الذات المدركة والموضوع المدرك ، والعلم حال من أحوال العقل يدرك فيها العقل نسبة بين مدركين سلباً أو ايجاباً ، أو يدرك مجموعة متصلة من هذه النسب ، والمعرفة " تجربة " تعانيها النفس والعلم حكم ينطق به العقل " (عفيفى ، صفحة 244) .

ويؤكد النابلسى ان ذات الله المخصوصة لا يمكن للعقل الوصول اليها بقوله ايضاً : " الايمان بذات الله تعالى ، وصفاته ، واسمائه وأفعاله ، وأحكامه ، على حسب ما هو عليه تعالى ، من غير أن يتصرف العقل فى فهم شى من ذلك " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 28)

يقول ايضاً : " فالنصح لك أن لا تثق بمدركات العقول فى الاحوال الإلهية أصلاً " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 278)

وبهذا فالمعرفة الصوفية بالله تعالى ، ليست وليدة العقل بل وليدة قوة أخرى تعلو العقل والحس أيضا ، فهى نور يقذفه الله في قلب من أحبه أو المحبة الإلهية وحدها ، لا التعقل ولا النظر – في رأى الصوفية - هي الطريق الوحيد الموصل إلى تلك المعرفة ولهذا تعرف المعرفة الصوفية بالمعرفة اللدنية ، كونها من لدن إذ يقول سبحانه وتعالى : " وَعَلَّمْنَا مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ". (1)

هذا ولابد للانسان أن يعلم أن الحس والعقل لهما دورهما فى معرفة الله ، غير أن المعرفة اليقينية الثابتة هى المعرفة القلبية . قال الغزالى : " إن معرفة الله والايمان به على ثلاث مراتب :

1- ايمان العوام المستند إلى الخبر الذى يخبرهم به أهل الثقة ، كأن يقال لهم : إن فلاناً بالدار ، فيأمنوا بما سمعوا .
2- إيمان العلماء الذى يصلون اليه بالعقل عن طريق الاستنباط ، كأن يسمعوا فلاناً يتكلم فيسطنبطون أنه بالدار .
3- إيمان العارفين ويقينهم الذى يشهدون فيه الحق دون حاجة من حس أو عقل ، ومثلهم فى ذلك كمن دخل الدار فراء فيه رجلاً أو إمرأه بعينيه فمعرفة يقينية لا يتطرق اليها الشك " . (الغزالى، قضية المنقذ من الضلال، الصفحات 220-221)

إذن وراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما يكون في المستقبل وأموراً أخرى كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن إدراكات التمييز وهنالك إذن البصيرة وموضعها الذي ينكشف لها هو القلب .

غير أن ذلك لايعنى أن النابلسي أنكر العقل كوسيلة للمعرفة ، بل على العكس فقد اهتم بالعقل واعترف بدوره فى المعرفة ، وذكر الروايات الواردة في بيان مكانته ، ولكن المعرفة التى يتوصل إليها العقل لاتشمل جميع الحقائق ، وهي تختلف باختلاف السالكين فإن كان طريق الإنسان طريق استدلال ونظر ، كان معرفته مقصورة على أمور الحس والتجربة وما يتصل بها ، وإذا كان طريقه طريق الوحى والإلهام ، امكنه الوصول إلى معرفة الحقائق الإلهية.ذلك لأننا نعرف الله تعالى و نثبت وجوده أولاً عن طريق الأشياء المحسوسة والمعقولة التى نشعر بها ، وذلك يدل على قيمة العقل والحس كآداتين للمعرفة الالهية عند الصوفية ، غير أن المعرفة القلبية معرفة دقيقة ومؤكدة ومخصوصة من خلال الكشف القلبى ، يقول فى ذلك : " فيرى الله تعالى فى كل شى يشهد فى معقول أو محسوس على الأول ، أو يرى جميع ما أخبرت بالأنبياء عليهم السلام من أمور الآخرة فى كل معقول أو محسوس على الثانى ، فتكون الدنيا هى ظهور الآخرة للقاصرين على حسب شهودهم ، فإذا كملوا بأحوال الموت والبرزخ شهدوا حقائق ما كانوا يسمونه دنيا ؛ وشهود ذلك فى هذا العالم ، رؤية الغيب فى الشهادة " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 112)

إن الصوفية لا ينكرون دور الحس والعقل فى معرفة الله ، والنابلسى اثبت مثل سابقيه من الصوفية ان هناك طور آخر اعلى وارقى من الحس والعقل هو القلب ، وهو اداة للمعرفة الصوفية .

نود هنا أن نشير إلى أن طريق المجاهد للنفس والتحقق بالرياضات العملية والروحية ومنازل السلوك أى المقامات ، وهو طريق ينتهى بالسالك إلى معرفة الله معرفة قلبية ، وهناك طريق أخر يبدأ بمعرفة الله وينتهى بالمجاهدة وتبديل صفات النفس الذميمة بصفات حميدة وهو طرق المجذوبين أو المجتبين ، وهؤلاء يكشف الله لهم عن كمال ذاته كشفاً مباشراً ، فيعرفون الله منذ البداية ثم بعد معرفة الله دون سابق مجاهدة يبدأون فى أخذ أنفسهم بالمجاهدة النفسية والرياضات العملية ويتحققون بالمقامات

1) سورة الكهف : الآية 65.

والاحوال . ويسمى طريق المجاهدة بالطريق الصاعد ، أما طريق الاجتباء فيسمى بالطريق الهابط . (التفتازانى، 1969م، صفحة 278)

وكلا الطريقين ذكرهما الله فى القرآن الكريم حيث قال فى طريق المجاهد والاجتباء : " اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ " .[1]

ثانيا: منهج المعرفة الصوفية

إن منهج الصوفية فى المعرفة يخالف منهج الحكماء ، ففيما يقوم الاخير على النظر العقلى ، تقوم المعرفة الصوفية على الكشف والذوق والحدس القلبى والاتصال الروحى بالله تعالى اتصالاً روحياً ، وليس فى هذا المنهج الصوفى الذوقى أى عنصر عقلى . (الفاخورى و الجر ، 1993م، صفحة 351)

لذلك يؤكد الشيخ عبد الغنى النابلسى كغيره من الصوفية ان المنهج الصوفى يقوم على الكشف والعيان وليس العقل والبرهان أوالدليل أو الحس ، يقول فى ذلك : " طور المعرفة بالله تعالى معرفة الكشف والعيان ، أرقى من معرفته تعالى معرفة الدليل والبرهان ، التى هى أعلى من معرفة التقليد والإذعان " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 18)

والمنهج الكشفى لدي النابلسى خاصة ليس كأى منهج عقلى او حسى ، لأن المنهج الكشفى فى معرفة الله هو الذى يفوق كل المناهج حيث ان الله تعالى يرفع الحجب عن السالكين بواسطة ذلك المنهج ، فيقول : " وارفع همتك عن الإيمان بمقتضى ما يظهرك لك من حيث النظر العقلى من معانى الكتاب والسنة إلى حضرة الإيمان بذلك ، على مقتضى ما هو الأمر عليه فى نفسه ، مما يعلمه الله ورسوله ، فإنك إذا تعلقت همة ايمانك بذلك الغيب المعلوم عند الله ورسوله ، ربما جذبك ذلك المعنى الغيبى ، أو جذبته بقوة حالك وصدقك فى الاذعان إلى الغيب ، فيفتح لك باب العرفان على طريقة الكشف والبيان " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 278)

يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى ان المنهج الكشفى يعمل على تنوير باطن السالك ، حيث يقدح الله تعالى فى قلبه معانى وتجليات واسرار وخبايا وانوار لم يكن على علم بها من قبل ، يقول فى ذلك : " وتنكشف المعانى الشريفة على مر الأزمان لقلوب اهل المعرفة والايمان ، وتتجلى لهم خبايا الأسرار وخفايا الأنوار شيئاً فشيئاً من غير فراغ ولا نقصان " . (النابلسى ، الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، صفحة لوحة شمال رقم 49)

وإذا ما انتهينا من الحديث عن أداة المعرفة ومنهجها لدى الصوفية ، سننتقل إلى الحديث عن موضوع المعرفة كما تبينا ذلك عند شيخنا .

[1])سورة الشورى : آيه 13.

المبحث الثالث

موضوع المعرفة الصوفية عند النابلسي

إن موضوع المعرفة في الفكر العرفاني يتعلق بوحدانية الله وصفاته، ولا يصل إلى هذه الغاية إلا من صفى قلبه حتى أصبح مرآة تنعكس عليها أنوار التجلي الالهي . فالعارف يريد الحق لذاته ساعيا إلى التحقق بمعرفته معرفة يقينية لا يتطرق إليها أدنى شك وتلك غاية كبرى ، وهى أشرف الغايات لا يؤثر العارف عليها شيئا ، لأن معرفة الحق سبحانه والاتصال به هو اتصالا روحيا بين العبد وربه ، والتلذذ بمعرفة ذاته الكريمة وصفاته ، فليس هناك أعظم ولا أكمل ولا أشرف للسالك من أن يرى أثر من آثار الحق فى قلبه ويتنعم بحضرته ، فالعارف يريد الحق الأول ولا شى غيره . يقول النابلسي : " الفاعل والعامل المؤثر المقصود هو الله الذى لا إله إلا هو " (النابلسى ، الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، صفحة لوحة يمين رقم 34)

ويؤكد النابلسي ذلك بقوله : " فالمقصود هو الله تعالى على كل حال عند صاحب القلب الصحيح والعقل الرجيح " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 75)

أى العقل المستبصر بنور القلب ، حيث ان معرفة الله تعالى لديهم لاتتم إلا بوساطة الله تعالى ، أى تكون بفيض من الله تعالى وكرم منه لعبده المؤمن الذى جاهد نفسه وعمل مخلصاً من اجل التقرب إلى ربه .

يقول النابلسى : " والله يأخذ بيدك فى الفهم عنه لجميع ما طلبه منك ، ويعينيك فى جميع أحوالك على العمل الصالح مع بلوغ المراد ، ويحفظك من الخطأ فى المعرفة والعمل ، ويهديك إليه صراطاً مستقيماً ، ويختم لك بأحسن مما بداك به " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 60)

يقول ايضا : " والمعارف الالهية ، والحقائق الربانية به اى بحوله وقوته لا بحولك وقوتك " . (النابلسى ، خمرة الحان ورنة الالحان فى شرح رسالة الشيخ ارسلان، صفحة لوحة يمين رقم 56)

ويؤكد النابلسى هذه الفكرة بقوله ايضا : " بذل السالك جهده فى رضاء ربه وعقيب طاعة صدرت منه لربه سبحانه ، اكراماً من الله تعالى له بذلك فيسمى ذلك الخاطر حينئذ هداية من الله تعالى للعبد ، وتوفيقاً له ولطفاً به وعناية أى (اعتناء به) ، قال الله تعالى : " وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا " . ([1]) أى بذلوا جهدهم فى امتثال أوامرنا واجتناب نواهينا لنهدينهم سبلنا أي طرقنا الموصلة إلينا ، وذلك بأن يعقب ذلك خواطر هداية وتوفيق ولطف وعناية فيعلمهم كيف الوصول إليه ، ويدلهم به عليه فيكشف لهم عما استتر على غيرهم فيعرفونه ذوقاً وشهوداً " . (النابلسى ، الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، صفحة لوحة يمين رقم 346)

يقول ايضاً : " ليس هناك فيما يتحصل فى ذوق العارفين غير الوجود الحق " . (النابلسى ، الوجود الحق والخطاب الصدق، 1995م، صفحة 43)

يؤكد الشيخ عبد الغنى النابلسى ان موضوع المعرفة الصوفية هى معرفة الله تعالى تقوم على الفهم والتحقق بالمعانى والتجربة التى يخوضها السالك مع الله تعالى ، ولم تقوم على حفظ صفات واسماء الله تعالى فقط ، يقول فى ذلك : " واعلم يا أخى وعلم إخوانك من المؤمنين أن هذا الذى قررناه فى حق الله تعالى هو معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة التى تنفى الجهالة ، فاذا فهمها العبد وتحقق بمعانيها ، لا حفظ عباراتها فقط من غير فهم وتحقق ، فان الانتفاع بها موقوف على الفهم ، لا الحفظ " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 14)

يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى إن موضوع المعرفة الصوفية واحدة عند كل المشايخ وهو الله تعالى ، ولكن طريقة التعبير عن تلك المعرفة الصوفية تختلف من شيخ إلى آخر، لأن المعرفة الصوفية هى عبارة عن حالة وجدانية شعورية خاصة ، يقول فى ذلك : " المشايخ كلهم عندهم معرفة الله تعالى ، وهى واحدة لا تختلف وإن اختلفت العبارات ، والعبارات ليست هى المعرفة بل المعرفة وراء كل عبارة وخلف كل إشارة ، قال القائل :

[1]) سورة العنكبوت : آيه 69 .

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذلك الجمال يشير . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 198)

اعتمد الصوفية فى تحصيل علومهم الذوقية ومعرفتهم الصوفية وموضوع تلك المعرفة لديهم على اصل واحد فقط ، وهو لديهم اهم وايقن الاصول وهو (الله تعالى) حيث تمت معرفتهم من خلاله ، يقول النابلسى فى ذلك : " السالك المقبل لا يجد غيره سبحانه وتعالى أصلاً (فى الوجود) فيكون هو العمدة عنه فى تحصيل علومه ، وتقرير مسائله ، وإيراد كلامه ، والأصل الذى بنت عليه العارفون كلامهم هو هذا الأصل ، لا على العقل ، ولا على نظره ، ولا على الحس ولا على الوهم . ولكن بنوا كلامهم على الفيض الإلهى والفتح الربانى ، كما قال تعالى : " مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ " . (1) فالذى يعلمهم هو الله تعالى لا غيره . وقال أبو يزيد البسطامى : " أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت " وقال سبحانه : " أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ " (2) " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، الصفحات 332-333)

يؤكد النابلسى ان معرفة الله تعالى (اى موضوع المعرفة) لديهم يتم بفضل هبة من الله سبحانه وتعالى لعبده المتقرب اليه ، ولذلك يكرر النابلسى مقولة الجنيد البغدادى وهى : " والله والله ما عرف الله إلا " الله " تلك المعرفة التى يعرف هو تعالى بها نفسه " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 123)

يقول ايضا : " ايمان اهل الكشف والعيان المتلقين ذلك من حضرة الرحمن استنتاجاً من الاعمال الصالحة المرضية من البدع " . (عبد الوهاب ، 2003م، صفحة 268)

وذلك يعنى أن معرفة الله معرفة إحاطة مستحيلة على البشر حتى وإن كانوا من الصوفية المتحققين ، ولا يعرف الله حق المعرفة الا الله ذاته سبحانه وتعالى ، وانما معرفة الصوفية العارفين بالله هى شدة الإيمان به تعالى والذى يصل إلى درجة من اليقين الذى لا يتطرق اليه شك .

اتفق النابلسى مع من سابقه من الصوفية فى ان موضوع المعرفة هنا هو الله ، وقد سئل ذو النون : بم عرفت ربك ؟ فقال : عرفت ربى بربى . (الجليند ، 2001م، صفحة 96)

واشار الغزالى فى هذا الصدد بقوله : " المعرفة هى معرفة الحضرة الربوبية المحيطة بكل الموجودات ؛ إذ ليس فى الوجود شى سوى الله تعالى وأفعاله ، ومن يتجلى للقلب من المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه " . (حلمى ، 1970م، صفحة 131)

واذا كان موضوع المعرفة الصوفية عند شيخنا كما هو الحال عند الصوفية هو معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة يقينية لا يتطرق إليها الشك ومعرفة ذاته الكريمة وصفاته . فما غاية هذه المعرفة ؟

المبحث الرابع

غايات المعرفة ودرجة اليقين فيها

المعرفة الذوقية عند الصوفية هى غاية الغايات من رحلتهم المضنية يسترخصون فى سبيلها كل ما يملكون ويضحون من أجلها بكل أوقاتهم ، يروى عن الجنيد أنه قال : " لو علمت أن علماً (تحت أديم السماء) أشرف من علمنا لسعيت إليه وإلى أهله حتى اسمع منهم ذلك ، ولو علمت أن وقتاً أشرف من وقتنا هذا مع أصحابنا ومشايخنا ومسائلنا ومجاراتنا هذا العلم لنهضت إليه " . (الطوسى، 1914م، صفحة 239)

تعد المعرفة الصوفية غاية ما يسعى إليه الصوفي فى رحلته الشاقة التى أساسها المجاهدة والمكابدة ، والقلب هو آله هذه المعرفة .

---

[1]) سورة فاطر : آيه 2 .

[2]) سورة الزمر : آيه 282 .

1-الغاية الاخلاقية للمعرفة

تهدف المعرفة الصوفية عند النابلسى خاصة والصوفية عامة إلى غاية أخلاقية ، لأنها متوقفة على طهارة القلب ونقائه ، وكلما زادت المعرفة ، زاد التخلق والصفاء .

ومن تلك الفضائل التى ذكرها النابلسى :

1- (اتباع هدى الرسول صلى الله عليه وسلم) ، إذ ليس وراء نور النبي نور يستضاء به.لأنه يعد نموذج لكل كمال ، حيث ان الله تعالى يفيض على قلب السالك بالتوفيق فى اتباع آثار النبوية المؤدية الى التخلق بالاخلاق الالهية ، يسترشد النابلسى بمقوله معلمه الاكبر ابن عربى فى هذا الصدد فيقول : " وفى كتاب " مواقع النجوم" للشيخ الأكبر محى الدين بن العربى رضى الله عنه التوفيق مفتاح السعادة الابدية ، والهادى بالعبد إلى سلوك الاثار النبوية والقائد له إلى التخلق بالاخلاق الالهية من قام به غنم ، ومن فقده حرم وهو نور يضعه الله فى قلب من اصطفاه لنفسه واختصه لحضرته ، وانما هو به تحصيل النجاة وبه تنال الدرجات ، ومع انه سر موهوب ونور فى قلب المؤمن موضوع ، فان إرادة العبد من جهة العلم بخصائصه وحقائقه ، متعلقة بجود الله سبحانه وتعالى فى تحصيله منه والاتصاف به ، فقد يحصل للعبد بتلك الإرادة فيتخيل إنه كسبى وإن دعاه الله فيه وإرادته اياه ، سبب فى حصوله وما علم ان تلك الإرادة التى حركته لطلب التوفيق من التوفيق ، فإنها من آثاره ، ولولاه لم يكن ذلك ، فان ارادة التوفيق من التوفيق ، ولكن لا يشعرك بذلك اكثر الناس ، فإذا تقرر هذا فيكون الانسان انما يطلب على الحقيقة كمال التوفيق من الموفق الواهب الحكيم ، ومعنى كمال التوفيق استصحابه للعبد فى جميع أحواله من اعتقاداته وخواطره واسراره ، ومطالع أنواره ومكاشفاته ومشاهدته ، ومسامراته وأفعاله كلها " . (النابلسى ، الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، صفحة لوحة شمال رقم 221)

2- (طهارة القلب) يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى إن من غايات المعرفة الصوفية نقاء القلب وطهارته اى غياب التصرفات البشرية الذميمة عن السالك ، وإحلال التصرفات الملكية مكانها ، حيث ان الله تعالى ينير قلبه بالإيمان ، يقول فى ذلك : " الكامل عزل ، أى (عزله تعالى عن التصرفات البشرية) لذهاب ظلمة الطبيعة عن عين بصيرته وإشراق نور الايمان فى قلبه ، فتبدلت بشيرته بملكتيه ، وزالت عنه ظاهراً وباطناً جميع الحركات والسكنات النفسانية بالكلية " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 187)

2-حب الله كغاية للمعرفة الصوفية

ان الغاية القصوى من المعرفة الالهية أو القلبية أو الذوقية عند الصوفية عامة والشيخ عبد الغنى النابلسى أيضاً هى التحقق بمحبة الله ومعرفته ، ومشاهدة جماله وجلاله وكماله ، حين ينتهى العارف إلى كشف الحقيقة بحيث يصبح عارفاً ، كما ينتهى إلى معرفة حقيقة ذاته من حيث هو محب ، بالقياس إلى حقيقة الذات الالهية من حيث هى محبوبه ، حيث يهب الله تعالى للمريدين أطمانانا قلبياً وراحة قلبية ، وسعادة لا تنتهى .

اتفق الشيخ عبد الغنى النابلسى مع سابقيه من الصوفية بان المحبة الإلهية تستخدم كوسيلة وغاية للوصول للمعرفة الإلهية ، يقول فى ذلك : : " فإن لازمة المحبة ، تعد الوسيلة إلى المعرفة الإلهية الذوقية " . (بن سليمان ، 1430-1431هـ، صفحة 901)، كما أن المحبة " آخر طور من أطوار العلم ، وأول طور من أطوار المعرفة " . (النابلسى ، غاية المطلوب فى محبة المحبوب، صفحة لوحة يمين رقم 139) (الدمشقى، 1295هـ، الصفحات لوحة يمين رقم 68- لوحة شمال رقم 69)

يقول النابلسى ايضاً : " والعارف بالله تعالى انتجت له محبته لله تعالى معرفته به تعالى ، وانتج له علمه وعمله محبته لله تعالى " . (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة شمال رقم 69)

يرى النابلسى ان الصوفى يصل الى غايته اى (محبوبه) بدون واسطة اى من الامر الالهى نفسه ، يقول فى ذلك : " حضرة الروحانية ، التى هى منبعثة عن حضرة الأمر الإلهى من غير واسطة ،

وكونها تخبر ذلك المريد الصادق عن حضرة محبوبه ، لأنها هى المعارف والعلوم الإلهية التى تفيض عليه من ذلك الجناب " . (زيدان ، 1419هـ -1999م، صفحة 173)

ينعم الصوفية العارفون بوصلهم إلى المحبة فى جلال الله ، وتلك المحبة والعشق الالهى يرافقهم دائماً وابدا ، اى يستغرقون فى محبه الله تعالى وشهوده وتجليه طوال الوقت ، يقول النابلسى فى ذلك : " والكمال كل الكمال بشهود الحضرة الأزلية فى كل بكرة وعشية ، والاستغراق فى تجليات اللوامع الأبدية فى المقامات المحمدية ، وأهل هذا المشهد تتأتى لهم المحبة فى جلال الله ، فيظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، على حسب ما هو معروف عندهم على التنزيه التام فى المعرفة الذوقية ، من باب الحضرة العشقية " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 148)

يقول ايضاً : " ومن سلك سبيل المحبة ، وصل به إلى مقام القربة ، فامتلؤا من تجلياته ، وتحققوا بمعرفة ذاته وصفاته " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 266)

اتفق النابلسى مع من سابقه من الصوفية فى هذا الصدد خاصة الشبلى الذى ربط المعرفة الإلهية بالمحبة ، لأنه يرى ان المحبة دليلاً على الوصول للمعرفة الإلهية ، يقول فى ذلك : " علامة المعرفة المحبة ، لأن من عرفه أحبه " . (السلمى ، صفحة 37)

3- السعادة والكمال

ان الغاية القصوى لحياة الانسان عامة والصوفى خاصة هى السعادة والكمال ، لذلك اكد الشيخ عبد الغنى النابلسى ان الله تعالى ينعم ويفيض على المقربين والعارفين به بسعادة وسرور وافراح لا تنتهى ، يقول فى ذلك : " الحمد لله الجواد الكريم الفتاح الذى انشرحت صدور عباده المؤمنين بأنواع عطاياه وهباته غاية الانشراح ، ويسر عليهم أمور معاشهم ومعادهم بعنايته وتوفيقه فى المساء والصباح ، فسبحانه من آله انعش قلوب الصادقين بانوار صدقهم وكمل لهم الافراح ، وهيم نفوس العاشقين فى محبته واهاج غرام الأرواح " . (النابلسى ، ديوان الخطب المسمى يوانع الرطب فى بدائع الخطب، 1258هـ، صفحة 2)

" والله تعالى كريم على عباده المقربين ، يفيض عليهم بوصولهم الى الآمال والأحلام والسعادة التى يرغبون الوصول اليها ، ومن ثم الوصول إلى مراتب الكمال أيضا ، يقول فى ذلك : " الحمد لله المحمود المشكور فى جميع الأفعال الذى يبلغ عباده المؤمنين بكرمه وإحسانه غاية الامال ، ويوصل من انقطع إلى جنابه برفيع بابه ويرقيه فى مراقب الكمال " . (النابلسى ، ديوان الخطب المسمى يوانع الرطب فى بدائع الخطب، 1258هـ، صفحة 5)

يقول ايضاً : " والسعيد من يكتفى بجنابه ، ولا يعرف غير بابه ، فان الجميع فى يديه ، ولايتم الأمر إلا به ، ومنه ، وإليه . ولكن مراتب الخلق تتفاوت بمعرفته ، وبالتحقق والحضور معه وتخليص محبته . فمن حجبه باوهام الأغيار ، فقد ستر عليه وجوه الاسرار ، فلا ينفعه بجميع المقاصد إذا تحققت الأوطار . ومن فتح له باب الدار ، وكشف عن وجهه هذا الثائر من الغبار ، فقد بلغ الأمانى فى جميع الاطوار ، وإن حرمه ما اراد وقصد من قبل لحصول الاستبصار ، قال تعالى : " فَٱعۡتَبِرُوا يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ " ([1]). (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، الصفحات 236-237)

يوضح الشيخ عبد الغنى النابلسى إن من ثماروغايات المعرفة الصوفية ايضاً وصول السالك إلى حالة من الطمأنينة والسكون القلبى لوجود الله تعالى فى قلبه ، وبالتالى يشعر القلب بالسرور والفرحة التى لا نهاية لها ، لأنه راى الله تعالى بقلبه ، يقول فى ذلك : " تفردوا دون غيرهم بالوصول إلى طمأنينة الوجدان أى (التحقق القلبى) بوجود الحق تعالى ، والسرور بذلك أى (الفرح به) ورؤية المنة بذلك عليه من الله تعالى ، فوق كل منه والمشاهدة أى الرؤية بعين القلب بجمال تجلى الرب " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 156)

وبذلك يتضح أن غايات المعرفة عند النابلسى هى التخلق بالأخلاق الحميدة ، والحب لله ، والاتصال الروحى به تعالى ، وهذه المعرفة اللدنية تورث العارف السعادة الدائمة .

[1]) سورة الحشر : آيه 2 .

ثانيا : درجة اليقين

انتهى الشيخ عبد الغنى النابلسى مثل سابقيه من الصوفية اثناء سلوكهم للطريق الصوفى إلى درجة اليقين اى (الوصول الى معرفة الله تعالى معرفة يقنية) ، ويتضح لنا ذلك من خلال قوله : " حصول اليقين بالله تعالى فى القلب واليقين يرفع عن عين البصيرة استار جميع الاغيار ، فتنمحى صور الكاينات من لوح النفس ، فترجع قلبا والقلب روحاً والروح امراً الهيا " . (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة شمال رقم 101)

يقول ايضاً : " من ذاته الشريفة ، للناهلين – أى للشاربين المهيمين بشراب المعرفة والتحقق – منابع مختلفة ، كل منبع ، مشرب خاص ، ينبع من حضرة خاصة ، لكامل خاص ، قال تعالى : " قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ " . (1) " . (زيدان ، 1419هـ -1999م، صفحة 214)

يرى الشيخ عبد الغنى النابلسى ان العارف بالله تعالى الواصل لدرجة اليقين به تعالى ، فإن اليقين به يجعل الله تعالى ، يبصره بكل ما حوله فى الوجود ، اى انه يزيل عن قلبه كل غشاوة ، يقول فى ذلك : " واعلم ان صاحب اليقين الذى هو من اهل الباطن لا حركة له فى بصيرته ، اذ لا وجود له عنده بل الوجود كله عنده لله تعالى وحده على اختلاف حضراته تعالى " . (الدمشقى، 1295هـ، صفحة لوحة يمين رقم 94)

وقد وضح النابلسى ان الله تعالى هو الحقيقة اليقينية التى يسعون للوصول اليها فى طريقهم الصوفى (اى المعرفة الصوفية) ، ويتضح ذلك عند بيانه لأنواع المعرفة – من حيث درجة اليقين - حيث قسمها لأربعة درجات وهى : المعرفة الحقيقية – العيانية – الكشفية – البرهانية ، يقول فى ذلك : " أما انواع المعرفة اربعة درجات هى :

1- المعرفة الحقيقية : هى معرفة الله تعالى
2- المعرفة العيانية : وهى معرفة اهل الجنة فى الجنة
3- المعرفة الكشفية : وهى معرفة الأولياء لربهم
4- المعرفة البرهانية : وهى معرفة العلماء لربهم " . (النابلسى ، رائحة الجنة شرح اضاءة الدجنة فى عقائد أهل السنة، صفحة 32)

يقول ايضا : " ثم عند العمل بما جاء عن الشارع إذا ظهر لنا بعض الأسرار وبعض الإشارات ، لا نحصر فيها مقصد الشارع ، ولا ننسب ذلك إليه على وجه يمنع من نسبة غير ذلك أيضاً ، فإن الفتح الإلهى على أحد لا يكون إلا فى بعض مقاصد الشارع قصداً ، ولهذا يتنوع ويكثر حتى لا يكاد يدخل تحت حصر بيقين ، فتجد لكل إنسان فتحاً مخصوصاً من حيث ما هو عليه من مقتضى خلقته وطبيعته ، فإن علوم الحقائق هى ثمرات الأعمال والطاعات " . (عطا، 1407هـ -1987م، صفحة 294)

ونتيجة لتجربة الشيخ عبد الغنى النابلسى التى اوصلته لليقين (اى معرفة الله تعالى) ينصح النابلسى السالك أنه يجتهد فى عمله تجاه الله تعالى طوال الوقت ، لا يمل من ذلك ابداً ، حتى يصل إلى مقام اليقين ، الذى فيه سكينة واطمئنان قلبى ، وأن يستعين بربه فى كل أموره ، يقول فى ذلك : " فعليك أيها السالك فى طريق الله تعالى بالجد والاجتهاد والمبادرة والمسارعة فى تحصيل مقام اليقين ، وسكون واطمئنان القلب ، والاستعانة بالله تعالى فى أحوالك كلها وامورك جميعاً " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 111)

يقول ايضا : " إذا نقيت من بالك خطور الأغيار ، تفرغ قلبك لأنوار معرفته فصرت قابلاً لتجلى الحق تعالى فيك ، فيظهر لك تجليه فيك منك فإنك آثر من آثار تجليه القديم، قال تعالى : " وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (2) " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 194)

ويؤكد ذلك بقوله ايضاً : " مرادنا ب " النفع " حصول الفتح الإلهى على القلب بأنوار المعرفة . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 201)

يذكر الشيخ عبد الغنى النابلسى ان السالك من الممكن ان يستعين بشيخه للوصول الى اليقين (اى معرفة الله تعالى معرفة يقنية) ويتضح ذلك فى قوله : " وإذا حصلت له ، أى (المريد) الغيبة عن كل

---

[1]) سورة البقرة : آيه 60 .
[2]) سورة الحجرات : آيه 16 .

معقول ومحسوس يبقيه الشيخ على ما هو عليه (ولا يتوجه) بهمته له كيلا يفسد عليه وقته باختلاف المشرب على ذوقه، إلا إذا حصلت له أى (للمريد) غفلة بحيث منعته عن غيبته تلك وكادت توجب صحوة (فيزيلها) الشيخ عنه بالهمة ، حينئذ ليكتمل له ذوق الحقيقة الغيبية ويرتاض فى ذلك " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 187)

أى ان السالك من الممكن ان يساعده شيخه فى اول الطريق للوصول إلى معرفة الله معرفة قلبية يقنية ، ومن الممكن ان يساعده شيخه فى اول الطريق واخره لكى يصل الى اليقين ، حيث إن السالك إذا وصل إلى حال الغيبة عن كل محسوس ومعقول يبقيه شيخه على ما هو عليه ، وإذا حصلت له غفلة فعلى الشيخ ان يزيلها عنه ، كى يكتمل له اليقين والحقيقة الإلهية .

وتحدث المعرفة الصوفية عندما يفنى الصوفى أو السالك عما حوله ثم يفنى عن نفسه ويبقى بالله وفى هذه اللحظة الخاطفة يفيض الله تعالى على قلبه المعرفة الذوقية ، ويزول عن القلب كل حجاب ، وتنجلى البصيرة ، وتنقدح فى القلب معرفة الله معرفة نورانية ذوقية ، مبنية على اساس من الذوق الروحى والكشف الإلهى ، يقول النابلسى فى ذلك : " والفناء الذي هو نتيجة التوجه الحاصلة لك بقوة روحانية شيخك الذى صحبته نفسك حتى وصلت صحبته منها إلى قلبك ، فكورت شمس القلب حتى جمعت مع قمر النفس ، وتبدلت حينئذ أرض طبيعتك ، غير الأرض ، وسماوات عقلك ، وحصلت على المقام المقصود وشربت من حوض روحانيتك المورود وصرت (تتقلب) فى أطوار الشهود " . (النابلسى ، مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية، 1429هـ، صفحة 95)

يقول ايضاً : " فالعلم به هو علم اليقين عند الكل ، ثم إذا تحقق العبد بفناء نفسه وغيره فيه ، وصل إلى عين اليقين ، وهذا الفناء على حسب ما هى عليه الاشياء كلها " . (النابلسى ، وسائل التحقيق ورسائل التوفيق، 2001م، صفحة 331)

ويتضح مما سبق ان الشيخ عبد الغنى النابلسى قد وصل إلى غايته وهدفه وهو التيقن بمعرفة الله تعالى معرفة قلبية ، لا يتطرق إليها الشك .

خاتمة

1- جمع النابلسي بين التفقه فى الشريعة والتصوف فقد كان ملماً بعلم الفقه وأصوله ، وصوفياً متحققاً ، وهذا ما يجب أن يكون عليه الصوفى المتحقق الواصل إلى حضرة الحق .

2- وضع النابلسى المعرفة القلبية لله فى أرقى مراتب المعرفة واكثرها يقيناً مع اعترافه بدور الحس والعقل كادوات لمعرفة الله ، غير أن المعرفة القلبية هى الأعمق والأصدق والاكثر يقيناً ، لأنها من الله .

3- إن قلب الصوفى الذى توجه صاحبه مخلصاً لله ، بعد تنقيته وتصفيته من أدران الشهوة والهوى ، ونزعات النفس الأمارة بالسوء ، وتحليته بمكارم الأخلاق ، يصير أهلاً لتجلى أنوار الحق عليه ، والتحقق بالمعرفة اللدنية .

4- المنهج القلبى عند النابلسى وغيره من الصوفية هو أصدق المناهج للوصول إلى المعرفة بالله ، معرفة فيضيه من الله ويقنية وثابتة .

5- يرى النابلسى أن الغاية من التصوف هى معرفة الله معرفة قلبية لا تكون عن طريق الحس أو العقل ، وإنما يعينه على التحقق بها قوة الإيمان وشدة اليقين ، والتحقق بالمقامات الصوفية والرياضات العملية ، واتباع إرشادات الشيخ السالك حتى يصير مهيئاً لتقبل المعرفة الذوقية من لدن الله تعالى فى حال الفناء .

6- إن أهم ما يميز المعرفة الذوقية الشهودية عند النابلسى أنها معرفة خاصة نتيجة تجربة شخصية ، وهى ليست شيئاً مشتركا بين الناس جميعاً ، كما أنها معرفة مباشرة من الله ، تحدث فى ومضة سريعة فى حال الاتصال الروحى .

7- الغاية القصوى من المعرفة الالهية أو القلبية أو الذوقية عند الشيخ عبد الغنى النابلسى خاصة هى التحقق بمحبة الله ومعرفته ، ومشاهدة جماله وجلاله وكماله ، حين ينتهى العارف إلى كشف الحقيقة بحيث يصبح عارفاً ، كما ينتهى إلى حقيقة ذاته من حيث هو محب ، بالقياس إلى حقيقة الذات الالهية من حيث هى محبوبه ، حيث يهب الله تعالى للمريدين اطمئنان قلبى وراحة نفسية ، وسعادة لا تدانيها سعادة .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانيا : كتب الحديث

ثالثاً : المصادر

(بلا تاريخ). ***الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية*** (المجلد ج1). (علـى حمـامى زاده ، المحـرر) مخطوطة.

_____. (بـلا تـاريخ). ***خمـرة الحـان ورنـة الالحـان فـى شـرح رسـالة الشـيخ ارسـلان.*** مخطوطات تركية من عناية السيد محمد عارف.

عبد الغنى النابلسى . (1258هـ). ***ديوان الخطب المسمى يوانع الرطب فى بدائع الخطب.*** جامعة الملك سعود.

_____. (بلا تاريخ). ***رائحة الجنة شرح اضاءة الدجنة فى عقائد أهل السنة.*** (أحمد فريد المزيدى ، المحرر) بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

_____. (1426هـ-2005م). ***رشحات الاقلام شرح كفاية الغلام على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه*** (الإصدار ط1). (اليـاس قـبلان ، المحـرر) بيـروت - لبنـان: دار الكتب العلمية.

_____. (بلا تاريخ). ***شرح إضاءة الدجنة فى عقائد أهل السنة.*** (أحمد فريد المزيدى ، المحرر) بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

_____. (1969م). ***شروح رسالة الشيخ أرسلان.*** (عـزة حصـرية ، المحـرر) دمشـق: مطبعة العلم.

_____. (1435هـ). ***العقود اللؤلؤية فى طريق السادة المولوية*** (الإصدار ط1). (إبراهيم عاصم الكيالى ، المحرر) لبنان: كتاب ناشرون.

_____. (بلا تاريخ). ***غاية المطلوب فى محبة المحبوب.*** مخطوطة.

_____. (1349هـ -1931م). ***الكوكب السارى فى حقيقة الجزء الاختيارى*** (الإصـدار ط1). (محمد راغب الطباخ ، المحرر) حلب: المطبعة العلمية.

_____. (1429هـ). ***مفتاح المعية فى دستور الطريقة النقشبندية*** (الإصدار ط1). (جودة محمد أبو اليزيد المهدى ، و محمد عبد القادر نصار ، المحررون) مصر: الدار الجوية.

_____. (1995م). ***الوجـود الحـق والخطـاب الصـدق.*** (بكـرى عـلاء الـدين ، المحـرر) دمشق: المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية.

_____. (2001م). ***وسائل التحقيق ورسائل التوفيق.*** (سامر عكاش، المحرر) دار بريل.

رابعاً : المراجع العربية

أحمد محمود الجزار . (2013م). *المعرفة الصوفية عند صوفية الإسلام* (الإصدار ط1). القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ارسلان الدمشقى. (1295هـ). ***خمرة الحان ورنة الالحان***. مخطوطة بقلم محى الدين بن عربى.

التفتازانى. (1969م). ***ابن عطاء الله االسكندرى وتصوفه*** (الإصدار ط2). القاهرة: مكتبة الأنجلو.

الجبرتى. (1997م). ***عجائب الآثار فى التراجم والاخبار*** (الإصدار ط1، المجلد ج1). (ابراهيم شمس الدين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

جميل بك العظم . (1326م). *عقود الجواهر فى تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فاكثر*. بيروت: المطبعة الاهلية.

الحسينى الجرجانى الحنفى . (1424هـ- 2003م). ***التعريفات*** (الإصدار ط2). (محمد باسل ، المحرر) بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

حنا الفاخورى ، و خليل الجر . (1993م). ***تاريخ الفلسفة العربية*** (الإصدار ط3، المجلد ج1). بيروت: دار الجبل.

السبكى . (1964م). *طبقات الشافعية الكبرى*. القاهرة: مطبعة الحلبى.

السلمى . (بلا تاريخ). ***المقدمة فى التصوف وحقيقته***. (يوسف زيدان ، المحرر) مكتبة الكليات الأزهرية.

_____ (2003م). *طبقات الصوفية*. دار الكتب العلمية.

الطوسى. (1914م). ***اللمع فى التصوف***. (رنولد الن نيكسلون ، المحرر) مطبعة بريل.

ابن عربى .(1919م). ***التدابيرات الالهية فى اصلاح المملكة الانسانية***. طبعة ليدن.

_____ (بلا تاريخ). ***تحفة السفرة إلى حصرة البررة***. (محمد رياض المالح ، المحرر) بيروت: دار الكتاب اللبنانى.

_____ (بلا تاريخ). ***رسائل ابن عربى (كتاب اليقين وكتاب المعرفة)***. (سعيد عبد الفتاح ، المحرر) مؤسسة الانتشار العربى.

_____. (1730هـ). ***كتاب المسائل***. (سيد محمد دامادى ، المحرر) طهران: مؤسسة مطالعات تحقيقات فرمبكى.

عبد القادر احمد عطا. (1407هـ -1987م). ***التصوف الإسلامى بين الأصالة والاقتباس فى عصر النابلسى*** (الإصدار ط1). بيروت - لبنان: دار الجبل.

ابو العلا عفيفى . (بلا تاريخ). ***التصوف الثورة الروحية فى الإسلام***. بيروت: دار الشعب.

الغزالى. (1328هـ). *الرسالة اللدنية*. مصر: كردستان العلمية.

الغزالى. (1967م). ***المنقذ من الضلال والموصل إلى ذى العزة والجلال*** (الإصدار ط7). (جميل صليبا، و كامل عياد ، المحررون) بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.

_____. (بلا تاريخ). ***قضية المنقذ من الضلال*** (الإصدار ط5). (عبد الحليم محمود ، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

ابن قيم الجوزية . (1423هـ -2003م). ***مدارج السالكين*** (الإصدار ط7، المجلد ج3). (محمد المعتصم بالله البغدادى ، المحرر) بيروت - لبنان: دار الكتاب العربى.

_____. (2001م). ***مدارج السالكين*** (الإصدار ط1، المجلد ج2). (رضوان جامع رضوان ، المحرر) القاهرة: مؤسسة المختار.

محمد السيد الجليند . (2001م). ***من قضايا التصوف فى ضوء الكتاب والسنة*** (الإصدار ط4). القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد مصطفى حلمى . (1970م). ***الحياة الروحية فى الإسلام***. الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر.

يوسف زيدان . (1419هـ -1999م). ***النادرات العينية لعبد الكريم الجيلى مع شرح النابلسى*** (الإصدار ط1). القاهرة: دار الامين.

خامساً : المعاجم العربية

ابن منظور. (بلا تاريخ). ***لسان العرب*** (المجلد ج4). (عبد الله على الكبير ، محمد احمد حسب الله ، و هاشم محمد الشاذلى ، المحررون) القاهرة: دار المعارف.

سادساً : المجلات والدوريات العربية

حسنى عطية صادق عبد الغفار . (2021م). ***المعرفة عند صوفية الإسلام القشيرى نموذجاً***. *العدد مج 29*، الصفحات 829-830.

السيد محمد السيد عبد الوهاب . (2003م). ***المسائل العقدية فى مصنفات النابلسى وموقف النابلسى منها***. *ع8*، صفحة 268.

مديحة حمدى عبد العال. (بلا تاريخ). *المعرفة الصوفية " دراسة فى مؤلفات أحمد الجزار"*. بحث منشور -كلية الآداب - جامعة الفيوم ، صفحة549.

سابعاً : الرسائل العلمية العربية

خالد بن سليمان . (1430-1431هـ). ***منهج عبد الغنى النابلسى فى العقيدة والتصوف عرض ودراسة (رسالة دكتوراه)*** (المجلد ج1). السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية (كلية أصول الدين